دراسات في الرسالة إلى العبرانيين

STUDIES IN THE EPISTLE TO THE HEBREWS

هـــ. أ. آيرونسايد

H. A. IRONSIDE

LOIZEAUX BROTHERS, INC

نبتون، نيوجرسي

ترجمة

فريق التعريب

الطبعة الأولى، تموز ١٩٣٢

تُرجم إلى العربية عن

الطبعة السادسة عشر، تشرين الأول ١٩٧٧

نشر

LOIZEAUX BROTHERS

هيئة غير ربحية، مكرسة لعمل الرب ولنشر حقه

تمهيد

هذه الدراسات نُشرت على نحو متسلسل في المجلة التفسيرية الشهرية، "الوحي"، خلال الأعوام ١٩٣١ و ١٩٣٢، وقد تم الآن تعديلها وإصدارها ككتاب بإذن الناشرين الأصليين. تحضيراً لإعادة نشرها، تم تحرير جميع الصفحات بعناية، ونُقِّحَت بين الفينة والأخرى لأجل مزيد من الوضوح، رغم أنها لم تتبدل في جوهر مادتها الأساسية.

هـ. أ. آيرونسايد

شيكاغو، إيلينوي، نيسان، ١٩٣٢

مقدمة بقلم المترجم

"الرسالةُ إلى العبرانيين"، كما يصفُها الدكتور هنري آيرونسايد، مؤلّفُ الدراسة عنها، هي نوعٌ من رحلة حج من الصليب إلى المجد العتيد. هي دليل حياة عملية للمسيحيين الذين غادروا عبوديةَ "مصر" هذا العالم وارتحلوا إلى "حرية أبناء الله" في "الوطن السماوي". هذه الرسالة تُظهر أنه في يسوع المسيح تحققتْ كلُّ الرموز والنبوءات التي وردت في العهد القديم والمتعلقة بالمسيا (أو مشيا بالعبرية)، وتأتي بنا، عبر الأفكار والطروحات العميقة فيها، إلى كامل نور مجد المسيح.

أما الكاتب، هنري آيرونسايد، فهو معلّمٌ للكتاب المقدس، ألمعيٌ، وكارزٌ للكلمة، موهوبٌ، يلقى محبةً وترحاباً على نطاق واسع في العالم. كتب آيرونسايد ستين كتاباً ونيّف في تفسير الأسفار المقدسة إضافة إلى العديد العديد من المقالات والكتيّبات حول مواضيع تتعلق بالكتاب المقدس. يشهدُ عددٌ لا حصرَ له من القُرّاء للدكتور آيرونسايد بقدرته على إدخال القارئ إلى صميم وعمق الكتاب المقدس بيسر وبساطة، إذ يشرح الكتاب بطريقة جذابة فيها الكثير من الحيوية والأمثلة التطبيقية العملية.

نأمل أن تنالَ هذه الترجمةُ استحسانَكم، وأن يُؤتي الكتابُ بالثمارِ التي وُضِعَ لأجلها أصلاً، وأن يساهمَ في فهم وعيش حقائق الإيمان ابتداءً من الخلاص إلى ارتقاب المجيء الثاني المجيد لربنا يسوع المسيح المبارك، آمين.

[فريق الترجمة]

المحتويات

الرسالة إلى العبرانيين

مدخل: نسبة الرسالة، هدفها، والخطوط العامة فيها.	
أمجاد ابن الله	
أمجاد وإذلال ابن الإنسان	
كهنوت المَقْدِس الإلهي يفوق ذاك الذي لهارون	
طريق الإيمان وأبطال الإيمان في كل العهود	
الحياة بحسب حقيقة الدهر الجديد	

مدخل

نسبة الكتابة، الهدف من الرسالة، والخطوط العامة فيها

من كتب الرسالة إلى العبرانيين؟ هل من الضروري لنا أن نكون متأكدين من معرفة الكاتب البشري لتلك الرسالة، وهل هناك أهمية لأن نعرف ذلك، إذ أن الرسالة تأتي غُفلاً من الاسم؟ لو كان الله يقصد أن يجعلنا نعرف اسم الكاتب أفما كان ليخبرنا بذلك؟ هذه أسئلة تُطرح بشكل مشروع، وإني أرغب أن أحاول أن أجيب عنها بوضوح واعتدال ما أمكنني ذلك.

إني أكتب لأولئك الذين يؤمنون بالوحي الذي في هذه الرسالة، كما في كل الكتاب المقدس، وبهذا المصطلح أعني كل ما قُبِل على أنه من الكتاب المقدس في أيام ربّنا، أي العهد القديم بأكمله؛ وأيضاً الأسفار التي كان المسيحيون يعتبرونها قانونية في القرن الأول. إن الرسالة إلى العبرانيين تنتمي إلى هذه المجموعة الأخيرة. ومن الواضح أن هذه جزء متمم من كلمة الله. إن الاقتطاع من كتبنا المقدسة، سيترك فراغاً كبيراً ما من شيء يمكن أن يملأه. في مكانه، يُسد الفراغ على نحو يثير الإعجاب وبشكل مذهل بعقدة اتصال بين نظامي العهد القديم والجديد.

تُنسب هذه الرسالة إلى بولس الرسول في الكتاب المقدس، كما في عدة مخطوطات. ومع ذلك كان هناك أيضاً من يعتقد منذ الحقبة الأخيرة من القرن الثاني بأنها لم تكن لبولس. لقد كانت تُنسب مرة إلى أبولّس ومرة إلى برنابا، بل وأحياناً إلى بريسكيلا، زوجة أكيلا. من المستبعد أن يكون أبولّس هو كاتبها، إذ أنه من الاسكندرية ومع ذلك لا يبدو أن الكنيسة هناك قد سمعت به. فلو كان كاتبها، فكان من الطبيعي جداً أن تفتخر هذه الكنيسة بالإقرار بأنها من كتابة يده وما كانت لتسمح بأن يُنسى اسمه كأداة مختارة (بيد الله). وأما بالنسبة لبرنابا، فليس هناك ولو مقدار ذرة من الدليل على أنه هو كاتبها. فبالمقارنة بين الرسالة إلى العبرانيين ورسالة منسوبة إلى برنابا بشكل مؤكد، نجد أن هناك فروقات في الأسلوب بينهما لدرجة كبيرة لا يمكن معها اعتبار أن الكاتب هو نفسه للرسالتين. وبالنسبة إلى بريسكيلا، فرغم "لمسات نسائية أنيقة رقيقة معينة" موجودة في الرسالة على حد قول سيدة مفسرة للكتاب، إلا أن هذا الافتراض مرفوض لأنه منافٍ للعقل وليس له أساس من الصحة.

ولكن هل معرفة الشخص الذي كتبها تشكّل فرقاً؟ أعتقد أن نعم، على الأقل من أجل فهمنا لمنظورها وتوقيتها. كما أشرتُ سابقاً[١]، هذه الرسالة هي الأخيرة في سلسلة من ثلاث رسائل تشكل تفسيراً ملهماً لأحد نصوص العهد القديم، وهو بالتحديد الآية (حبقوق ٢: ٤)، "البارُّ يحيا بالإيمان". تشرح رسالة رومية الكلمة الأولى وتُظهر من هو وحده "البار" أمام الله. أما غلاطية فتتابع القصة المذهلة وتشرح كيف "يحيا" البار. إذ قد

[١] - انظر "محاضرات على رسالة رومية" لنفس المؤلف.

بدأوا بالروح فإنهم لا يصبحون كاملين بالجسد، ولكنهم يعيشون بنفس الإيمان الذي يبرِّر. والآن تأتي الرسالة إلى العبرانيين فتكمل القصة، وتشرح آخر كلمتين، مظهرة أنه "بالإيمان" يسير شعب الله المترحل عبر هذا العالم إلى تسبيحه ومجده. هل من الممكن أن يكون إله النظام والترتيب قد اختار بولس ليكتب الرسالة إلى أهل رومية وإلى أهل غلاطية، ولكن اختار كاتباً غير معروف ليكتب الرسالة إلى العبرانيين؟ أليس على الأرجح أن نفس الخادم هو من كتب الرسائل الثلاث؟

والآن سؤالنا التالي هو: هل بإمكاننا أن نتأكد من هوية كاتب الرسالة، أم أنها مسألة تخمينات وتوقعات في أفضل الأحوال؟ أعتقد أن الله قد أعطانا معلومات محددة من هذه الناحية: فأولاً، لدينا القول المعروف جيداً للرسول بطرس، والذي يجب أن يكون حاسماً مقنعاً فيما يختص بنسبة كتابة الرسالة إلى بولس. "وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصاً، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضاً بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضاً، مُتَكَلِّماً فِيهَا عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ" (٢ بطرس ٣: ١٥، ١٦). لا بد أن نلاحظ أن الرسول بطرس يكتب لمؤمنين من أصل يهودي مشتتين في الخارج، كما توضح رسالته الأولى. فبالطبع هو يكتب للعبرانيين. وكتب رسالته الثانية لنفس الجماعة. "هَذِهِ أَكْتُبُهَا الآنَ إِلَيْكُمْ رِسَالَةً ثَانِيَةً أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، فِيهِمَا أُنْهِضُ بِالتَّذْكِرَةِ ذِهْنَكُمُ النَّقِيَّ". ويوضح أن "أَخينَا الْحَبِيب بُولُس" قد كتب لهم. فإن لم يكن يشير إلى هذه الرسالة إلى العبرانيين فلا بد من وجود هكذا رسالة محفوظة، لأن كل رسائل بولس الأخرى، التي كُتِبَت إلى جماعات من القديسين، كانت موجهة إلى كنائس الأمميين. ومن جديد في هذه الرسالة إلى العبرانيين التي يشير إليها الرسول بطرس، يقول أن بولس قد كتبها و"فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ". كم ينطبق هذا على الرسالة إلى العبرانيين! كم من آلاف من النفوس القلقة قد وقعت في محنة وكرب في الفكر وتشويش في الروح بسبب سوء الفهم والتفسيرات المغلوطة كلياً لأجزاء من الأصحاح ٦ و١٠. لا أعتقد أنه كان ليمكن أن تكون هناك أي إشارة أكثر وضوحاً من هذه يمكن أن يشير بها بطرس إلى نسبة هذه الرسالة.

إضافة إلى ذلك، ففي الرسالة إلى أهل تسالونيكي نقرأ: "اَلسَّلاَمُ بِيَدِي أَنَا بُولُسَ، الَّذِي هُوَ عَلاَمَةٌ فِي كُلِّ رِسَالَةٍ. هَكَذَا أَنَا أَكْتُبُ. نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ" (٢ تسا ٣: ١٧، ١٨). هنا يخبرنا بولس عن العلامة السرية الخفية، إن أمكننا قول ذلك، التي كان يضعها في خاتمة كل رسالة من رسائله، وهكذا يحمي المؤمنين القديسين من خطر التزوير. تذكروا التحذير في (٢ تسا ٢: ٢): "نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ.... أَنْ لاَ تَتَزَعْزَعُوا سَرِيعاً عَنْ ذِهْنِكُمْ، وَلاَ تَرْتَاعُوا، لاَ بِرُوحٍ وَلاَ بِكَلِمَةٍ وَلاَ بِرِسَالَةٍ كَأَنَّهَا مِنَّا: أَيْ أَنَّ يَوْمَ الْمَسِيحِ قَدْ حَضَرَ". فما هي هذه العلامة الخفية؟ إنها رسالة تميز كل خدمته، تحية تؤكد على نعمة ربنا يسوع المسيح. دعونا نرى كيف أن هذه العلامة الخفية يختتم بها كل رسائله.

(رومية ١٦: ٢٤): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ". (لاحظ أن الآيات ٢٥- ٢٧ لها طبيعة الحواشي أو التذييل. ولعل الرسالة تنتهي على الأرجح بالآية ٢٤).

(١ كورنثوس ١٦: ٢٣، ٢٤): "نِعْمَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ. مَحَبَّتِي مَعَ جَمِيعِكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ".

(٢ كورنثوس ١٣: ١٤): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

(غلاطية ٦: ١٨): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ. آمِينَ".

(أفسس ٦: ٢٤): "اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. آمِينَ".

(فيلبي ٤: ٢٣): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

(كولوسي ٤: ١٨): "اَلسَّلاَمُ بِيَدِي انَا بُولُسَ. اذْكُرُوا وُثُقِي. النِّعْمَةُ مَعَكُمْ. آمِينَ".

(١ تسالونيكي ٥: ٢٨): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ. آمِينَ".

(٢ تسالونيكي ٣: ١٨): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

(١ تيموثاوس ٦: ٢١): "النِّعْمَةُ مَعَكُمْ. آمِينَ".

(٢ تيموثاوس ٤: ٢٢): "اَلرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ مَعَ رُوحِكَ. النِّعْمَةُ مَعَكُمْ. آمِينَ".

(تيطس ٣: ١٥): "يُسَلِّمُ عَلَيْكَ الَّذِينَ مَعِي جَمِيعاً. سَلِّمْ عَلَى الَّذِينَ يُحِبُّونَنَا فِي الإِيمَانِ. النِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

(فيلمون ١: ٢٥): "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ رُوحِكُمْ. آمِينَ".

والآن انظر إلى (عبرانيين ١٣: ٢٥): "اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

هل من شك في أي موضع آخر على صحة نسبة هذه الرسالة إلى بولس الذي كتبها بنفسه؟ إن الدليل يصبح أقوى عندما نأتي إلى الرسائل العامة، ونلاحظ كم تختلف النهايات بينها. ما من مرة تُستخدم فيها الكلمة "نعمة" سوى في ٢ بطرس ٣: ١٨. فهنا يرد القول "انْمُوا فِي النِّعْمَةِ"، والتي هي الخبرة، وليست النعمة التي تخلّص. إن سفر الرؤيا الذي هو ذا طابع مختلف كلياً لا يستخدم تحية النعمة ليُختتم بها العهد الجديد، وعلينا أن نتذكر أنه ليس رسالة، بل بحثاً نبوياً عظيماً.

ولكن لماذا وصلتنا الرسالة إلى العبرانيين غُفلاً من الاسم؟ أعتقد أن هناك جواب واضح جداً على هذا السؤال. إن بولس يكتب هنا إلى أخوته بحسب الجسد. لقد كانوا متحاملين عليه وعلى خدمته للغاية، رغم أنه كان يتوق إليهم بكل توهج واتقاد المحبة الأخوية. إلا أن كثيرين منهم كانوا ينكرون رسوليته وكانوا يخشون من موقفه تجاه طقوسهم القديمة. لقد حاول أن يتغلب على هذه المقاومة والممانعة من قِبَلِهِمْ. لدى زيارته الأخيرة إلى

أورشليم، مضى بعيداً في الأمر، بناء على اقتراح يعقوب، وذلك بأن يَنْفِق عَلَى أخوة معينين لأجل أن يتحرروا من نذور بتقدمات قربانية كانوا قد نذروها على أنفسهم. ولكن الله ما كان ليرضى لهذا أن يحدث، لأنه سيكون نكراناً فعلياً لكفاية تقدمة الرب يسوع المسيح نفسه على الصليب، ومن هنا كان العصيان الذي سمح به الله ضد بولس وسيلةً تنقذه من هذا التناقض الظاهر الواضح. ربما حدث، خلال فترة إطلاق سراحه، بعد اعتقاله لأول مرة وقبل الاعتقال الثاني (عبرانيين ١٣: ٢٣)، ربما حدث أن اختار الله له أن يكتب هذه الرسالة داعياً المؤمنين بالرب يسوع لأن ينفصلوا كلياً عن اليهودية، لأن ذلك النظام الديني برمّته كان على وشك أن يُنبَذَ بلا ريب مع دمار الهيكل اليهودي الذي كان قريب الحدوث جداً. فبولس يسلك بحسب المبدأ الذي وضع في غير مكان، "فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ" (١ كورنثوس ٩: ٢٠). ولذلك يحجب هويته للوقت ولا يصرّ على التأكيد على سلطته الرسولية، بل يحتكم إلى العهد القديم، وبالطبع على ضوء الكشف الجديد.

الهدف من الرسالة

إن الرسالة إلى العبرانيين هي بمثابة سفر لاويين للعهد الجديد. ما كان يعتقده أوغسطينوس عن العهدين لعله يصح بشكل محدد أكثر على هذين السفرين. إن الرسالة إلى العبرانيين محتجبة في اللاويين؛ وسفر اللاويين معلن بالرسالة إلى العبرانيين. رسالة العهد الجديد هذه تكشف بطريقة مذهلة عن التعليم الرمزي في السفر الثالث من الكتب الناموسية. كما أن ذلك الكتاب قد أُعطي لشعب اسرائيل بينما كان لا يزال في البرية، هكذا هذه الرسالة هي لأجل قديسي البرية؛ لأجل مؤمنين تركوا مصر هذا العالم وراءهم وهم يسيرون حشداً مترحلاً في رحلةٍ إلى الراحة التي تبقى لشعب الله. إنها "رحلة الحاج" من الصليب إلى المجد العتيد، ولذلك فإنها دعوة إلى الانفصال. هؤلاء المؤمنين مدعوون لأن يتركوا:

أ- الظلال إلى الجوهر.

ب- الرموز إلى المرموز إليه (أو بالأحرى المرموز إليه إلى الواقع الحقيقي، إذ في هذه الرسالة نجد أن ما يسمى عموماً بالرمز يشير فعلياً إلى المرموز، وتحقيق الرموز يصبح واقعاً).

ج- الأمور الحسنة في اليهودية إلى الأمور "الأفضل" في المسيحية.

د- النقص في العهد التدبيري القديم إلى الكمال في الجديد.

هـ- الطقوس الدنيوية الزمنية التي تخدم هدفاً مؤقتاً إلى الحقائق الروحية الأبدية للإعلان الأكمل.

و- القدس الأرضي وكل شعائره البالية إلى المقدس السماوي وحقائقه الباقية.

ز- الوعود المشروطة في العهد القديم إلى الوعود غير المشروطة في الجديد. (إذ رغم أن العهد الجديد لم يُقطع بعد مع بيت اسرائيل ويهوذا، إلا أن المؤمنين يتمتعون الآن بالبركات الروحية).

بطريقة تستحوذ على القلب وتُثير الفكر إلى أعمق الأعماق، تشير هذه الرسالة إلى أمجاد المسيح كابنٍ لله وابن الإنسان. إنها تستحضر أمامنا على أكمل وجه شخصه العجيب المذهل كرسول ورئيس كهنة اعترافنا. إنها تصوره على أنه ذاك الذي هو أسمى من الملائكة والذي به أُعطي الناموس؛ والذي به أيضاً أعطى الله إعلانات جزئية عن فكره للأنبياء؛ ولموسى، رسول العهد القديم؛ وهارون وخلفائه، رؤساء الكهنة في المقدس الأرضي؛ وليشوع الذي قادهم إلى إرثهم المؤقت الزائل. كل هذه قد أبطَلَها وفاقَها ربنا يسوع المسيح. ومن ثم يتبدى عمله على أنه أكمل من كل الرموز والصور السابقة. هذا العمل يأتي أمامنا كإنجاز يجب أن يتم جزئياً على الأرض، وهو الآن يستمر في السماء. إن ذبيحته على الصليب كاملة على نحو مطلق وتلغي كل ذبيحة أخرى، إذ أنها سوت وإلى الأبد مسألة الخطيئة. شفاعته في السماء تحفظ شعبه خلال كل رحلة تجوالهم في البرية، وسوف تستمر إلى أن يأتي ثانية.

رغم أنها قد كُتبت بشكل خاص من أجل المستنيرين من المؤمنين الذين خرجوا من اليهودية، إلا أنها، وبالطبع، لكل المسيحيين إلى انقضاء الدهر، إذ في المسيح يسوع ليس هناك فرق بين يهودي أو يوناني. إن ما هو حقيقي وصحيح بالنسبة لأي منهما هو كذلك حقيقي وصحيح بالنسبة للجميع. كم من المحزن أن نقلل من قيمة النصيب الثمين للكلمة (كما يفعل البعض، وللأسف، الذين ينبغي أن يعرفوا أفضل)، بحجة أنها "يهودية"، ولا تتناول الوضع المسيحي الكامل؛ ولكن حقيقة الأمر هي أن الرسالة قد كُتبت لكي تحرر المسيحيين من أن يكونوا يهوداً، ولتأتي بهم إلى النور الكامل للمجد الذي يشرق خلال حجاب الهيكل.

في عهد نعمة الله هذا، حيث "لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. ....فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، ينبغي أن يكون واضحاً أن كل رسائل العهد الجديد هي لكل كنيسة الله، أياً كان المرسَل إليهم في بداية الأمر. هذا لا يعني بالضرورة أن نغفل عن أن في بعضٍ منها تطبيقات محددة على بعض الحالات أو الأوضاع المحلية التي ما عادت قائمةً الآن. ولكنها جميعاً تفيد في إرشاد وتعليم أولئك الذين ينتمون للمسيح والذين ينتظرون عودته من السماء.

مخطط الرسالة (الخطوط العريضة فيها)

لدراسة أي سفر من الكتاب المقدس، من الأهمية بمكان أن يكون لدينا مخطط واضح في ذهننا. وفي هذه، كما في المسائل العقائدية، لعله يجب أن نبدي اهتماماً جيداً للنصيحة التي يقدمها الرسول بولس في (٢ تيموثاوس ٢: ١٣): "تَمَسَّكْ بِصُورَةِ الْكَلاَمِ الصَّحِيحِ"، أو كما تُرجمت على نحو آخر: "احتفظ بمخطط للكلام الصحيح". هذا سيوفر علينا تفسيرات وتطبيقات غير مناسبة أو موافقة. من يختار نصاً بشكل عشوائي من سفر ما مع اعتبار ضعيف أو معدوم لفحوى النص يجعلنا نخفق كلياً في استيعاب الفكرة والإعلان الكامن فيه، ومن المؤكد تقريباً أن يضلَّ ويُضلل مستمعيه الجاهلين، وفي نفس الوقت يثير الشفقة أو الازدراء عند أولئك الذين يعرفون أكثر منه. من أجل دراستنا الحالية سأضع المخطط التالي. لقد رأينا لتونا أن الفكرة هي سمو وقائع وحقائق العهد الجديد على

رموز وصور وظلال العهد السابق. في كشف هذه الفكرة نجد أن روح الله يقسم الرسالة بشكل واضح إلى خمسة أجزاء. هذه يمكن عرضها كما يلي[1]:

الجزء ١. الأصحاحات ١: ١– ٢: ٤: أمجاد ابن الله

القسم أ. أصحاح ١: ١– ٤: الله يتكلم في الابن

القسم ب. أصحاح ١: ٥– ١٤: الابن أعظم من الملائكة

القسم ج. أصحاح ٢: ١– ٤: أهمية تلقي الحقيقة المتعلقة بشخص الابن والثبات فيها

الجزء ٢. الأصحاحات ٢: ٥– ٤:١٣: أمجاد وإذلال ابن الإنسان

القسم أ. أصحاح ٢: ٥– ٩: مجد ابن الإنسان وسلطته

القسم ب. أصحاح ٢: ١٠– ١٨: كمال رئيس خلاصنا بالألم

القسم ج. أصحاح ٣: ١– ٦: كرامة الابن على بيت الله

القسم د. أصحاح ٣: ٧– ٤: ١٣: المخلص المكمّل يقود شعبه عبر البرية إلى السبت الأبدي مع الله: تحذير من التقصير

الجزء ٣. الأصحاحات ٤: ١٤– ١٠: ٣٩ : كهنوت المقدس الإلهي يفوق ذاك الذي لهارون، استناداً إلى الذبيحة الأعظم التي ليسوع المسيح

القسم الفرعي ١. أصحاح ٤: ١٤– ٧: ٢٨: الكهنوت الممجد، على رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ، ولو على نمط هارون

القسم أ. أصحاح ٤: ١٤– ٥: ١٠: الإنسان في المجد، رئيس كهنتنا العظيم

القسم ب. أصحاح ٥: ١١– ٦: ٢٠: التحذير من الارتداد. الأمان فقط في الاتكال على كلمة الله.

القسم ج. أصحاح ٧: كهنوت ملكي صادق الذي يفوق كهنوت هارون

الجزء ٢. الأصحاح ٨: وسيط العهد الجديد

القسم أ. أصحاح ٨: ١– ٦: الكاهن الصاعد

---

[1] - هذا المخطط يتوافق بشكل كبير مع ذاك الذي وضعه ف. و. غرانت في "الكتاب المقدس المشوهد" والذي يقدم للقارئ المزيد من المساعدة.- (هـ. أ. آ).

القسم ب. أصحاح ٨: ٧– ١٣: عهد أعظم يحل محل القديم

الجزء ٣. الأصحاحات ٩، ١٠: كما عمل المسيح

القسم أ. أصحاح ٩: ١– ١٠: المقدس الأرضي كرمز للمقدس السماوي

القسم ب. أصحاح ٩: ١١– ٢٣: سمو ذبيحة المسيح على كل القرابين المقدمة بحسب العهد القديم

القسم ج. أصحاح ٩: ٢٤– ١٠: ٢٢: المدخل إلى الأقداس بدم يسوع. دخوله هو ضمان لدخولنا.

القسم د. أصحاح ١٠: ٢٣– ٣٩: تحذير من الارتداد؛ أدلة واقعية

الجزء ٤. الأصحاح ١١: طريق الإيمان وأبطال الإيمان

القسم أ. أصحاح ١١: ١– ٣: طبيعة الإيمان

القسم ب. أصحاح ١١: ٤– ٧: الإيمان وقد تمثل في عهود ما قبل الطوفان

القسم ج. أصحاح ١١: ٨– ١٦: الإيمان المرتقب من النسل الموعود

القسم د. أصحاح ١١: ١٧– ٢٢: الإيمان متمثلاً بالآباء من إبراهيم إلى يوسف

القسم هـ. أصحاح ١١: ٢٣– ٤٠: خبرات إيمانية متنوعة من موسى إلى الأنبياء اللاحقين

الجزء ٥. الأصحاحات ١٢، ١٣: الحياة بحسب حقيقة الدهر الجديد

القسم أ. أصحاح ١٢: ١– ١٧: تحذير وحض على المثابرة

القسم ب. أصحاح ١٢: ١٨– ٢٤ : التغايرات الشديدة بين الزمنين

القسم ج. أصحاح ١٢: ٢٥– ٢٩: تحذير شديد من نبذ الحق الحاضر

القسم د. أصحاح ١٣: ١– ٦: تحريضات متنوعة

القسم هـ. أصحاح ١٣: ٧– ٢١ : الدعوة إلى الانفصال التام عن النظام القديم، اليهودية

القسم و. أصحاح ١٣: ٢٢– ٢٥: التحيات الختامية. علامة بولس الخفية

بحسب هذا المخطط، إذاً، يتم في الجزء الأول من الرسالة التركيز على الحقيقة العظيمة في أن ذاك الذي تكلم به الله هو أسمى من كل الأنبياء الذين تشكّل كتاباتهم العهد القديم، رغم أن الله نفسه هو المتحدث في كلا الطرفين. ولكنه يتحدث بشكل كامل بابنه، بطريقة ما كان يمكن لأي وسيلة بشرية أن تضاهيها. الابن يُرى أيضاً

سامياً على كل الملائكة مهما عظُمت قدرتهم وقوتهم، إذ أنهم يبقون مجرد مخلوقات، أما هو فخالق كل الأشـياء. طوال هذا الجزء يتم إظهار يسوع المسيح كابن جاء إلى العالم كإنسان، ولكنه لم ينفك عن أن يبقى إلهاً في الحقيقة. وما كان ليمكن أن نقول أن الله تكلم فيه حتى صار إنساناً متجسداً. لقد كان الكلمة منذ بـدء الأزل، ولكـن الكلمة نُطق به في ملء الزمان عندما جاء إلى العالم كابن الله المولود من عذراء. إنه لأمر بالغ الأهمية أن نـؤمن ونتمسك بثبات بالإعلان المعطى المتعلق بشخصه المجيد.

في الجزء الثاني يجري الحديث أكثر عن ناسوت المسيح. فذاك الذي هو إله قد صار إنساناً، وكإنسـان كان النموذج الأصلي الذي ينبغي على كل الناس أن يكونوا مثله والذي به نالوا الخلاص. لقد صار إنساناً لكي يسلك طريق الإيمان أمامنا، فيدخل بلا خطيئة إلى كل خبرات البشر، التي فيها كان ينشد أبداً مجد أبيه. ولكن هذا وحده ما كان ليؤهله ليصير رئيس خلاصنا. ولأجل ذلك، يجب أن يكمل من خلال المعاناة على الصليب. رغـم كونه كاملاً بحد ذاته بفضل شخصه، إلا أنه كان ينبغي عليه مع ذلك أن يمر بمرحلة الإكمال كمخلـص. بمعـنى آخر، ما كان ليمكنه أن يحررنا من الدينونة التي تستوجبها خطايانا لولا تحمله الدينونة بنفسه. في هذا الجزء يظهر المسيح أسمى بكثير من موسى، الرسول العظيم في العهد القديم، ومن هارون، رئيس الكهنة فيه. علاوة على ذلك، من الواضح أن البيت الذي بناه موسى، خيمة الاجتماع في البرية التي كان موسى مجرد خادم فيها وحسب، كان يقصد الله به أن يرسم صورة كل من الكون وشعب الله مسكن الروح القدس، الذي مَلَكَ عليه يسوع المسـيح الإنسان بسلطة الابن، وقد تمجد الآن.

رغم أنه الآن قد صار وإلى الأبد في منأى عن الألم والمعاناة، إلا أن حنانه وتعاطفه هما مع كل شـعبه في التجارب والمحن المدعوين لاحتمالها، ولأنه الراعي الصالح فهو يقودهم عبر البرية إلى الراحة التي تبقى وسـتبقى دائماً إلى الأبدية، التي تدخل إليها من الآن النفسُ الواثقة بإيمان.

في الجزء الثالث، والذي هو الأطول على الإطلاق، لدينا لُبُّ هذه الرسالة الرائعة. إن المقدس السماوي مفتوح هنا أمام عين الإيمان، وفي داخل الحجاب يتبدى ربنا يسوع المسيح وهو يقوم بدوره كرئيس كهنة عظـيم لنا، متأثراً بالإحساس بنقائصنا وعيوبنا، فيخدم كل المحتاجين من القديسين في الأرض، ومع ذلك يعطـيهم أبـداً تمثيلاً كاملاً أمام عرش الله. إن كهنوته لا يتغير ولا يتبدل إذ أنه يبدأ بالجانب القيامي من الموت. فإذ مات عـن خطايانا على الصليب، لن يكون هناك داعٍ لأن يموت من جديد، ولذلك لن يفوقه أو يتجاوزه أي كاهن آخـر. وليس هو كاهناً على رتبة هارون أو النظام اللاوي. إنه ملك وكاهن بآن معاً على رتبة ملكي صادق؛ ولكن من الجدير بالملاحظة أنه على "نمط" هارون. إن التعليم المعطى في العهد القديم والمتعلق بالكهنوت الهاروني كان يُعنى به أن يرسم صورة شخصه المجيد وعمله الرائع العجيب.

إذ قد سوَّى مسألة الخطيئة على الأرض، اجتاز السموات المخلوقة إلى الأقداس، مسكن الله ذاته، وهناك اتخذ مجلسه سابقاً لنا، وشفيعاً، ووسيطاً للعهد الجديد. وإن الحجاب الذي كان يفصل في السابق المقدس عن قدس الأقداس، رمز جسد المسيح، انشق بموته، وصار الطريق مفتوحاً الآن أمام الله ليخرج إلى الإنسان وأمام الإنسان

ليدخل إلى الله. لقد دخل الإنسان لتوه بالمسيح، لأنه إنسان على الطراز الأول، البكر بين عدة إخوة سيتطابقون في نهاية الأمر مع صورته المباركة، ويكون لهم نفس الحق بالدخول مثله تماماً، وذلك بكمال شخصه وعمله المنجز.

مهيبةٌ هي التحذيرات المعطاة في هذا الجزء العظيم، في الأصحاحات ٦ و١٠، ضد الاحتمال الرهيب بالارتداد، الذي كان كثيرون ممن هم وسط اليهود والذين اعترفوا بالإيمان بيسوع على أنه المسيا الذي ينتظرونه، والذين لم يضعوا ثقتهم به حقيقة أبداً كمخلص لهم، معرّضين له. أي شخص لديه خبرة كبيرة في التعامل مع النفوس القلقة المضطربة يعرف أن الشيطان غالباً ما كان يستخدم هذه المقاطع لإرباك الناس غير العارفين من ذوي الضمائر الحساسة، الذين لم يتعلموا أن يميزوا بين الارتداد والتخلي عن الإيمان. وإن التفسيرات التي حاول البعض أن يقدمها، ممن يُفترض فيهم أن يعرفوا أكثر، عن هذه التحذيرات كان لها وقع أسوأ. سوف نتمعن فيها جميعاً بالتفصيل في معناها الصحيح. ولكن يجدر بنا أن نقول أنه ما من إنسان مولود من جديد يمكن أن يرتد لأن الروح القدس الساكن فيه سوف يحميه من هذه الحالة المخيفة. إن التخلي عن الإيمان أمر مختلف بالكلية، وقلة منا يدركون كم نقع فريسة هذا الأمر. إن أي مسيحي لا يتمتع بالمسيح في الوقت الحاضر بمقدار ما كان في الماضي، أو لا يتكرس لله في حياته كما كان في السابق، هو مرتد إلى ذاك الحد. إن الكلمة نفسها ليست مصطلحاً يرد في العهد الجديد على الإطلاق. نجدها مرة واحدة فقط في الكتاب المقدس، وذلك في (أمثال ١٤: ١٤)، إذ نقرأ: "اَلْمُرْتَدُّ فِي الْقَلْبِ يَشْبَعُ مِنْ طُرُقِهِ وَالرَّجُلُ الصَّالِحُ مِمَّا عِنْدَهُ". إن كلمة "ارتداد" نجدها مرات عديدة ولو في إرميا وهوشع فقط. ولكن بينما لا توجد هذه الكلمات في العهد الجديد، إلا أننا نجد تحذيرات من حالة النفس التي تنطبق عليها هذه الكلمة، ومن الواضح جداً أن خبرة الارتداد هي أمر شائع جداً. كم هي عظيمةٌ رحمة الله التي تحتمل سلوكنا في البرية وتسترد نفوسنا عندما نتيه عنه!

عندما نأتي إلى الجزء الرابع، نجد أنه من الممتع جداً والمبهج رؤية كيف أن الله يميز أدنى دليل عن الإيمان العامل في نفوس شعبه. في المخطوطة الرائعة هذه التي في الأصحاح الحادي عشر، يا لها من دروس تنكشف، قد أراد بها الله أن تحثنا لنسلك في نفس طريق الإيمان بقوة الروح القدس، ناظرين إلى يسوع.

وهذا ما يؤكد عليه الجزء الخامس حقاً، إذ يقدّم لنا طرقاً عملية يجب أن تميز أولئك الذين آمنوا بالحقيقة المعلنة في هذه الرسالة. إنه يوضح أيضاً أن الغاية الأهم من الكتابة هي طرح فكرة انفصال من آمنوا بالرب يسوع عن الهيكل والمجمع والخروج من المحلة التي لنظام ديني ألقى الله به جانباً ليجدوا في المسيح وحده النصيب المرضي المقنع لنفوسهم.

يجب أن نلاحظ أنه بعد كل إعلان للحقيقة، يقدم الروح القدس تحذيراً خاصاً لئلا نصغي بأُذننا الخارجية فقط، فلا تدخل الحقيقة إلى قلبنا، إذ قد يكون هناك انسلال منها وانجراف رجعي إلى نظام ديني ليس لديه ما يقدمه لخاطئ يسعى إلى ضمير متطهر ويرغب بالدخول إلى حضرة الله في سلام. هذه التحذيرات كان لها تطبيق خاص على العبرانيين في أيام الرسل الذين كانوا قد سمعوا الإنجيل واقتنعوا فكرياً بأن يسوع كان هو المسيا الموعود، ولكنهم كانوا دائماً وأبداً في خطر الخلط بين التزامهم الخارجي الظاهري بقضيته وبين القبول القلبي بالمسيح مخلصاً لهم، كما يفعل كثيرون اليوم، وللأسف. من الممكن تماماً للإنسان أن يؤمن بما يدونه الكتاب

المقدس، وأن يقبل تاريخيته ويقر بمسيانية يسوع، بضمير غير مختبر وبدون دليل على توبة الحياة؛ ومن هنا تأتي أهمية الانتباه إلى التحذيرات كما إلى الحقيقة المعلنة هنا.

إن المسيحيين المعترفين اليوم ليسوا في نفس الحال تماماً كما كان أولئك الذين عاشوا في القرون المسيحية الأولى الذين تخلوا عن اليهودية وأعلنوا اتباعهم ليسوع، المسيا، وجُرِّبوا بشدة، بسبب الاضطهادات القاسية التي تعرضوا لها، والتي كانت لتدفعهم لأن ينكروا إيمانهم ويرجعوا إلى النظام الديني القديم. ومع ذلك فكم من المسيحيين في العالم المسيحي اليوم الذين يعتبرون أنفسهم أتباعاً لربنا ومخلصنا ولكنهم في ساعة التجربة يقعون في خطر الاستخفاف بالحقائق العظيمة للإنجيل فلا يُمضون أبعد من مجرد القبول الفكري بالمبادئ الأخلاقية في المسيحية، دون أن يعلموا بالولادة الجديدة والقوة التي تخلص التي بدم المسيح. من السهل على هؤلاء أن يعترفوا باعتناق ما يسرون بأن يسموه "ديانة يسوع" بينما ينكرون العمل الكفاري على الصليب وشفاعته كرئيس كهنة، هذين الأمرين اللذين لا قيمة لهما لولا أن الكتاب المقدس يعلن حقيقته في أنه ابن الله بكل ما في الكلمة من معنى وأيضاً ابن الإنسان. "ماذا تفتكر في المسيح؟" هذا السؤال لا يزال الامتحان الكبير والباقي دائماً.

إذ ندرس هذه الرسالة معاً، آمل أن نرى فيه ذاك الشخص الذي حقق كل رموز العهد الناموسي التشريعي والنصيب المقنع المرضي الذي لجميع الذين يقبلون إليه كخطأة تائبين فيضعون إيمانهم فيه وحده لأجل فدائهم الأبدي.

دراسات

في رسالة الرسول بولس

إلى العبرانيين

الجزء ١. الأصحاحات ١: ١- ٢: ٤

أمجاد ابن الله

القسم أ. أصحاح ١: ١- ٤

الله يتكلم في الابن

"[1]اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، [2]كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ – الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ. [3]الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، [4]صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ".

إذ نبدأ دراستنا لهذه الرسالة المهيبة الرفيعة، فإننا نأتي إلى حضرة الله نفسه وجهاً لوجه، وهو يشفق على المحبة والثقة التي وضعها في الجنس البشري الذي خلقه على صورته كشبهه، والذين كانوا في شخص رئيس نسلهم الأول بالكاد يمكن أن يوضعوا في موقع سلطة قبل انفصالهم عن الخالق، التي تعني الطاعة له بركة والعصيان بؤساً وندماً. ما إن دخلت الخطيئة إلى العالم حتى أتى الله بالنعمة يسعى وراء الخاطئ، ولذلك ومن السؤال الأول: "آدم، أين أنت؟" وصولاً إلى التجسد، كان الله يكلم الإنسان. في أماكن عديدة وطرق مختلفة في أوقات سابقة، عرّف الله الناس على فكره من خلال رجال موحىً بهم من الله، وأنبياء كانوا "تكلموا مسوقين من الروح القدس". ولكن وإذ كان الله بهذه الطريقة يُعتلن إلى درجة معينة، فإن ذلك الكشف كان يمكن أن يكون، في طبيعة الأشياء، مجرد كسرٍ صغيرةٍ. والآن في ملء الأزمنة، وفي نهاية الأدهار الاختبارية، في هذه الأيام من البركة، تحدّثَ إلينا ليس عن طريق وسيط بشري، بل في شخص ابنه. بكلمات أخرى، لم يرسل الله رسولاً للإنسان ليعرّفَه على إرادته وليدعوه للعودة إليه، بل إن الله نفسه يخرج إلى الإنسان بالابن. هذا يشبه تماماً ما يتحدث عنه الرسول يوحنا في الأصحاح الأول من إنجيله، الآيات ١٤ و١٨: "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً". "اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ". فما عاد الله محتجباً أو بعيداً. لقد انحدر نازلاً إلى عالمه الخاص طالباً أولئك الذين ضلوا سواء السبيل عنه، معلناً نفسه بكل قداسته اللامتناهية وبرّه وفي نفس الوقت بكل محبته وحنوه. في المسيح، أُنبئنا كلياً عن الله. وما من أحد يحتاج لأن يقول الآن: "ألا ليتني عرفت أين أجده" أو "أرنا الآب وكفى"، لأن الابن الأزلي السرمدي الذي صار إنساناً ليجعل الله معروفاً قد قال: "من رآني فقد رأى الآب. أنا والآب واحد".

إنه لأمر في غاية الأهمية أن ندرك هذه الحقيقة الهائلة. الابن واحدٌ مع الآب ومع الروح (القدس). الجميع متساوون في الجوهر ومتساوون في السرمدية. عندما تجسد الابن، كان نفس الأقنوم الذي كان عليه منذ الأزل، ولكن بتجسده أخذ الناسوت وإلى اتحاد مع اللاهوت وهكذا صار ابناً بمعنى جديد كإنسان وُلد من عذراء. وإذ لم يكن له أب بشري، كان الله وحده هو أبو ناسوته كما لاهوته. أعترف بأن هذا التعبير الأخير فيه إرباك ولكن هذا سرّ لا يحق لإنسان أن ينطق به، وبالتأكيد فإن لغتنا البائسة تعجز عن أن تنقل لذهننا هكذا حقائق جليلة فائقة. ومع ذلك فلا يمكن أن يكون هناك شك في الحقائق أنفسها بالنسبة لمن يقبل شهادة كلمة الله.

إن الابن هو الذي جعله الله وارثاً لكل شيء. يشير هذا بالطبع إلى تأنسه، فهو سيحكم كإنسان عالَماً مفتدى بالبر. ولكن الرسول يقول مباشرة بعد ذلك: "الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ"، وهذا يضعنا وجهاً لوجه أمام الله، الله خالق كل الأشياء. إنه نفس الأقنوم الذي صنع الكون وسيسود عليه. من الممتع أن نلاحظ أن الكلمة الأصلية لـ "العالمين" تأتي هنا "الدهور" حرفياً، (*tous aionas*)، وهذا تعبير يعني فعلياً العوالم الوقتية، ولكن كما هي معروفة، وهذا التعبير كان يستخدم عادة للإشارة إلى الكون. لعله يصح القول أن "به تجمعت الدهور وتركبت متحدة"، وهذا يعني أن المسيح الابن هو مركز كل أفكار الله، وأنه هو من صمم الدهور وهو الذي خلق العالم الذي فيه ستتجلى التدابير الدهرية.

إنه إشراق العظمة الإلهية، أو بهاء مجده. يقول ج. ن. داربي في تفسيره لكلمة "بهاء"، فيقول أنها تصور كلياً المجد الذي يكمن في شيء آخر، كما النور يجعلنا نعرف ماهية الشمس، وكما تدلنا خيمة الاجتماع على نمط العبادة لدى التجلي في الجبل. وهكذا إذ نألف الرب يسوع كما يتراءى لنا في الأناجيل نعرف ماهية الله بكامل امتلائه. لأن المسيح هو التعبير الدقيق عن شخصه، أو كما يقول بولس: "رَسْمُ جَوْهَرِهِ". إنه الأقنوم الإلهي وقد تجلى على نحو كامل في المسيح يسوع الإنسان. وهذا هو النقيض تماماً من الفكرة المعاصرة القائلة بالتأله. فيسوع لم يكن إنساناً على شبه الله يسعى نحو القداسة والتقوى. بل كان هو الله ذاته وقد نزل إلى الأرض بالجسد مصالحاً العالم لنفسه. وليس هناك مثل ذلك في أي نظام ديني بشري. إنه مثال فريد لا نظير له لأنه إلهي، وهو إلهي لأنه فريد لا مثيل له. يمكن للإنسان أن يفكر بسهولة أن يصبح إلهاً. هذه كانت الأكذوبة التي طرحها الشيطان منذ البداية: "تَكُونَانِ كَاللهِ"، والمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه كل الأنظمة الدينية الزائفة. ففي المسيحية فقط نعلم أن الله قد صار إنساناً وذلك من أجل فدائنا.

ذاك الذي صُلِبَ بالضعف كان هو، وفي نفس اللحظة، "حَامِلاً كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ". ولم يتخلَّ ولو لثانية عن إحكام قبضته على الكون. يا له من إيحاء عظيم بالقوة والسيادة هذا الذي نجده في هذه الكلمات، وكم تتعاظم أفكارنا نحوه إذ ندرك من كان ذاك الذي انحنى بالنعمة ليصنع تطهيراً للخطايا.

من الواضح أن نص الكتاب المقدس هنا لا يعطي الانطباع الكامل عن الفكرة. إننا نقرأ: "بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا". ولكن هناك كثيرون لم تتطهر خطاياهم، وهذا ما تؤكد عليه على نحو خاص هذه الرسالة إلى العبرانيين. فعبارة "بِنَفْسِهِ" لا توجد في النص الأصلي على الإطلاق، ولكنها تُفهم ضمنياً لأن الفعل هو في صيغة المبني بحيث ينعكس الفعل على الفاعل. من ناحية أخرى، ينبغي حذف ضمير المتكلم الجمع "نا" هنا كلياً.

فالتأكيد هنا هو على أنه أتاح وسيلة للتطهير: "لكونه صنع تطهيراً للخطايا (بنفسه)"، أي أنه أنجز على الصليب العملَ الذي به سُوِّيَتْ مسألةُ الخطيئة لإرضاء الله (العدالة الإلهية). فلا تعود تلك المشكلة (الخطيئة) حاجزاً بين الله والبشر. بل إن كل من يؤمن به، وبفضل ذلك الصنيع الذي قام به، يتطهر فعلياً من كل خطاياه أمام الله.

وإذ أتمّ هذا العمل، فإنه اتخذ مجلسه كإنسان على يمين العظمة الإلهية الأبدي. وما من أحد سوى الأقنوم الإلهي كان ليمكنه أن يتربع على عرش الكون. واستوى هناك لأنه كان مخولاً لأن يشارك أبيه ذلك العرش. وجدير بالملاحظة أنه كان هناك كإنسان في جسد ممجَّد قد سُمِّرَ على الصليب ووُضِعَ في قبر يوسف ثم تغيرت هيئتُه بالمجد أمام ناظري تلاميذه على الجبل المقدس.

"على عرش الرب قد تربّع،

الحملُ الذي ذُبِحَ مرةً، مشرقاً في المجد،

وها عينه ترقبنا وترعانا،

وتحمينا في جهادنا الروحي".

وهكذا، إذ اتخذ مجلسه هناك أظهر أن اسمه يفوق اسم كل الملائكة المخلوقة. فليس هؤلاء سوى خدام ومعاونين. أما هو فهو الابن. وهنا نجد لأول مرة كلمة "أَعْظَمَ" الذي يتكرر كثيراً في هذه الرسالة كما أشرنا. إن الابن "أَعْظَم مِنَ الْمَلاَئِكَةِ" إذ أن له، بالميراث، اسماً يبزُّ أسماءهم. وهذا لم ينلْه بتكرسه المخلص، بل هو حقٌ له بسبب علاقته بالآب منذ الأزل.

القسم ب. أصحاح ١: ٥- ١٤

الابن أعظم من الملائكة

"٥لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضاً: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً»؟ ٦وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ». ٧وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ: «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ». ٨وَأَمَّا عَنْ الابْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. ٩أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ». ١٠وَ«أَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. ١١هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، ١٢وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلَكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى». ١٣ثُمَّ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «اِجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟» ١٤أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ؟"

يشرع الرسول بولس هنا بإيراد مجموعة منظمة من نصوص العهد القديم ليُظهر سمو وأعلوية الابن فوق الملائكة، وليثبت بشكل خاص لأولئك الذين يبجلون العهد القديم، مثل قرائه اليهود، أنه لا يعلّم أي شيء يخالف ما أُعلن في ذلك الكتاب (العهد القديم).

لننظر إلى هذه النصوص الكتابية بالتسلسل. النص الأول يحكي عن تجسده. والاقتباس هو من المزمور ٢: ٧: "«أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»". إن التعبير "اليوم" يقصي الفكرة بأن هذا الجيل أبدي كما يُشار إليه هنا، وهذا صحيح. لكأنه الآن قد وُلد من العذراء فيخاطبه الآب كابن. أعرف أنه يُقال أحياناً أن الإشارة هنا هي إلى قيامته استناداً إلى القراءة في أعمال ١٣: ٣٣، حيث نقرأ "إِنَّ اللهَ .... أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضاً فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ". ولكن الكلمة "أيضاً" هي استيفاءٌ كما في أي نص محرر بعناية. إنها تفيد القول ببساطة بأنه أقام يسوع بتوافق مع كلماته: "«أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»" بما يتوافق تماماً مع رسالة الملاك للعذراء مريم المباركة: "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ"[1].

في الاقتباس الثاني لدينا مسيرة الإيمان التي سلكها على الأرض هنا: "«أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً»". من الواضح أن هذا هو الوعد الذي قطعه لداود كما سجله ٢صموئيل ٧: ١٤ واحتفل به في المزمور ٨٩. لأول وهلة، قد يبدو أن فيه إشارة إلى سليمان، ولكن من الواضح أن الحديث هو عن شخص أعظم من سليمان، ذاك الذي منذ طفولته أمكنه أن يقول: "أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟"[2].

الاقتباس الثالث مأخوذ من المزمور ٩٧: ٧، حيث ظهر في الترجمة العربية على الشكل التالي: "«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ»". هذا المزمور يحتفي بانتصار المسيا على كل أعداء الرب وظهوره بالمجد ليسود على كل الأمم. إن الإشارة واضحة، في نظري، وتدل على مجيئه الثاني. ليس تماماً "مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ"، بل "عندما يدخله" ثانيةً إلى المسكونة. في ذلك اليوم سيعرف الجميع أنه هو من تليق به أسمى آيات العبادة والتسبيح. على خلاف ذلك، لقد قيل عن الملائكة في المزمور ١٠٤: ٤: "الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ نَاراً مُلْتَهِبَةً". فهي كائنات مخلوقة، وليس لها أي مكانة أو دور سوى الخدمة.

الآيتان التاليتان مأخوذتان من المزمور ٤٥، حيث لدينا في الآية ٦ الحديث عن الابن الأزلي، وفي الآية ٧ يصير الابن إنساناً. في الاستشهاد الأول يخاطب الآبَ مباشرة كإله من الأزل: "وَأَمَّا عَنْ الاِبْنِ: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ". إنه يُخاطَب بشكل مباشر بـ "الله" (***Ho Theos***). من غير الممكن الإشارة إلى ألوهيته الكاملة بطريقة أكثر إقناعاً وحسماً من هذه. ولكن الآية التالية تظهر أنه سلك في هذا العالم كإنسان، مظهراً شخصه الإلهي، محباً للبر ومبغضاً للإثم. وكإنسان، كان الله إلهه وقد مسحه الآن بزيت الابتهاج أكثر من شركائه.

[1] - (لوقا ١: ٣٥).

[2] - (لوقا ٢: ٤٩).

الاقتباس التالي يتطلب عناية شديدة جداً لئلا تفوتنا قوة المعنى. إنه مأخوذ من المزمور ١٠٢: ٢٥– ٢٧. في الآية ٢٣ و٢٤ من ذلك المزمور، يُسمع الابن مخاطباً الآب في مرأى الصليب. فيصرخ قائلاً: "ضَعَّفَ فِي الطَّرِيقِ قُوَّتِي. قَصَّرَ أَيَّامِي. أَقُولُ: يَا إِلَهِي لاَ تَقْبِضْنِي فِي نِصْفِ أَيَّامِي. إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ سِنُوكَ". الآيات التي تلي ذلك قد تبدو للوهلة الأولى على أنها استمرار لالتماسه ذاك، ولكن على ضوء أن هذا التفسير موحى به إلهياً، نرى أنها جواب الآب على الابن. فالله يجيب ذاك المتألم في الجلجثة قائلاً: "مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ".

من هنا فإن الرسول بولس رسخ الألوهية الكاملة لربنا المبارك مقابل الملائكة الذين ورغم مجدهم، ليسوا إلا مخلوقات، أرواحاً خادمة مرسلة لتخدم أولئك الذين سيرثون الخلاص، والذين سيعبدون بأنفسهم ابن الله.

القسم ج. أصحاح ٢: ١ـ ٤

أهمية تلقي الحقيقة المتعلقة بشخص الابن والثبات فيها

"[1]لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِئَلاَّ نَفُوتَهُ، [2]لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً، وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً، [3]فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصاً هَذَا مِقْدَارُهُ، قَدِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا، [4]شَاهِداً اللهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ؟"

لدينا هنا تحذير مهيب موجه إلى كل أولئك الذين أتت إليهم حقيقة أعظمية المسيح وسموه على الملائكة، مؤكداً على أهمية إعارة اهتمام جدي لتلك الأمور لئلا تفوتهم في أي وقت، ولئلا تتسرب منهم كما من آنية ترشح. أن تقبل الحقيقة بالفكر أمرٌ ولكن أن تعترف بالالتزام ببعض العقائد والتعاليم أمرٌ آخر. كما أنه أمر آخر أيضاً أن تقتبل الحقيقة في القلب وهكذا تُولد من الله. إن الخطر الذي يحدق بأولئك العبرانيين كان في أنهم صهروا أنفسهم مع الجماعة المسيحية خارجياً بينما لم يقتبلوا فعلياً الحقيقة في قلوبهم، التي بها وحدها كان بمقدورهم أن يتجددوا. كان هناك دائماً خطر أن يستسلموا تحت ضغط الاضطهاد كمعترفين أو يبتعدوا عن الأمر الأهم– ألا وهو الاعتراف الحقيقي الصادق بالمسيح. وهكذا تلقوا تحذيراً، كما في القديم عندما أعطى الله الناموس (إذ إلى ذلك تشير الكلمة التي نطق بها الملائكة في الآية ٢)، "كُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً"، رغم أن الناس أعلنوا تقيدهم والتزامهم بكل ما قاله الله؛ وهكذا الآن، أنى لنا أن ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟ خلاصاً عظيماً بفضل جلال الشخص (الأقنوم) الذي أنجزه، وأعلنه الرب نفسه أولاً عندما كان في هذا العالم هنا، وأكده رسلُه فيما بعد. لقد وضع الله ختمه على شهادتهم بإعطائهم القوة على صنع آيات مقتدرة وعجائب، كما وعد في مرقس ١٦ وغيرها. هذه الآيات كانت ترافقهم وهم يمضون من مكان إلى آخر معلنين الكلمة، فكان الروح القدس يعمل من خلاهم بشكل عجائبي، ليشهد ويصادق على رسالة الإنجيل. إن التحول عن المسيحية يعني التجديف على الروح القدس، إذ ما كان بإمكانهم أن يرفضوا الشهادة التي صُودقَ عليها هكذا بدون نكران عمل الروح القدس. إن لم تكن الآيات المعجزية القديرة قد صنعها الروح القدس، فمن يكون قد عملها إذاً؟ لا بد لهم

أن يعترفوا أن الروح القدس كان يشهد لحقيقة الإنجيل أو أن يفعلوا كما فعل آباؤهم بأن ينسبوا المعجـــزات إلى قوة الشيطان.

لاحظوا أن مواهب الروح القدس كانت على حسب مشيئته. وهذا مهم وهو يتوافق مع ما كتـــب في ١كورنثوس ١٢، فيما يخص المواهب الروحية، حيث نقرأ: "وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِـــماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ" (الآية ١١). إن فُهمت هذه على نحو أفضل، فسيكون هناك تأكيد أقـــل علـــى مواهب معينة كدلائل على سُكنى الروح القدس.

الجزء ٢. الأصحاحات ٢: ٥- ٤:١٣

أمجاد وإذلال ابن الإنسان

إذ تأملنا ودرسنا حقيقة ربنا المبارك من جهة لاهوته، كونه الابن الأزلي لله وابن الله في الناسوت، فإننا مدعوون الآن لنفكر فيه من ناحية إذلاله وهو يدخل إلى خبرات البشرية لكي يصبح رئيس خلاصنا. علينا ألا ننسى أبداً أن ناسوته حقيقي كما لاهوته. لقد وُلد من عذراء؛ كطفل مثل بقية الأولاد بكل مظاهره الجسدية، وطفل عادي كامل نما وترعرع من الطفولة إلى الرجولة، وهو يزداد حكمة وقامة، وكان مشاركاً في كل الأمور المتعلقة بالطبيعة البشرية، كما خلقها الله أصلاً. وصعد إلى السماء كإنسان، لكيما نسبح بحق:

"لقد وضع طبيعتنا على العرش".

ولكن دعونا لا ننسى أن طبيعته البشرية كانت بلا خطيئة دائماً وأبداً كما كانت عليه حال آدم قبل السقوط. لم يأتِ تحت رئاسة نسل آدم ولذلك لم يرث حالته الساقطة. الله وحده كان أباه، كما رأينا للتو، وكما يشهد الكتاب المقدس بغزارة.

ولكن كما كان إلهاً وإنساناً في أقنوم (شخص) واحد، فإن ناسوته لم يكن فقط بريئاً كما حالة الإنسان الأول، التي كانت خاضعة للسقوط، بل كانت مقدسة، متمردة على الشر والإثم، لأنه كان الإنسان الثاني (آدم الثاني)، الرب من السماء. وهذا يحول دون أية إمكانية للخطيئة أو السقوط من جانبه.

ومع ذلك، لقد دخل إلى الحالة والظروف البشرية، ليس عندما كان الجنس البشري غير ساقط بل بعد السقوط عندما جُرِح و ابْتُلِي بخطيئتنا. وهكذا عبر، ذاك الذي كان بلا خطيئة، هذه الحياة معرضاً للألم والحزن، للجوع والتعب، للتجربة والإغواء، ودخل كلياً في خبرات البشر جميعها دونما عيوب ونقائص شخصية، ومات في نهاية الأمر على صليب المجرمين حيث وضع عليه الله إثم جميعنا. وفي حين لم تكن لديه خطيئة في ذاته، وُضعت خطايانا عليه، وصنع كفارة كاملة عن جميع معاصينا لكيما نتصالح مع الله ونتبرر من كل الأشياء.

القسم أ. أصحاح ٢: ٥- ٩

مجد ابن الإنسان وسلطته

"٥فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ «الْعَالَمَ الْعَتِيدَ» الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ. ٦لكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً: «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ، أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ ٧وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. ٨أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ – عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ – ٩وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ".

بينما الملائكة أعظم في القوة والقدرة من الإنسان في ظروفه الحالية، إلا أنها تبقى خداماً. لم يكن هـدف الله أبداً أن تسود الملائكة على البشرية. خلال الدهر الحالي وطوال العهود الماضية كان يسر الله أن يستخدم الملائكة رسلاً في نقل إرادته للإنسان. هذه الكائنات المجيدة ظهرت للآباء (البطاركة) إما لإعلان البركة أو للتحذير من الدينونة. وأُعطي الناموس بتصرف من الملائكة. وبالإرشاد الملائكي، اقتيدَ شعب اسرائيل عبر البريةِ، وكانت الملائكة تظهر من حين إلى آخر خلال سنوات خضوعهم لسلطة الكهنة كممثلة عن عرش الله. وعندما كان ربنا المبارك نفسه هنا على الأرض كانت الملائكة تأتي لتخدمه، وعندما سيأتي إلى العالم من جديد، كما رأينا في الأصحاح ١، سيعبدونه جميعاً. ولكن ليس في مخطط الله أن يديروا شؤون الحكم الإلهي عندما سيتأسس الملكوت فعلياً. "فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ «الْدهر الْعَتِيدَ» الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ". لاحظ أن الحديث هنا عن "الدهر" وليس عن "العالم"، أي ليس عن الكون كما نراه، بل الدهر الآتي من البر عندما يصبح ملكوت العالم هو ملكوت الله ومسيحه. ما من ملاك سوف يحكم في ذلك اليوم. بل ذاك الذي أُنْبِئَ عن مجده في المزمور الثامن سيستلم الملكوت ويحكم بالبر، وهذا واضح في هذا الموضع حيث يُستشهد في الآية ٦ بالاقتباس عن المزمور ٨: ٤- ٦، فيرد القول: "«مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ، أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ»". إن عدنا إلى المزمور قد لا ندرك أن المسيح هو من يجري الحديث عنه، وخاصة إذ نلاحظ الآية ٧و ٨ حيث كل البهائم والوحوش البرية، وطيور السماء وسمك البحار، ستخضع للإنسان. قد يبدو وكأن في ذلك تأكيد وحسب على كلمة الرب لآدم في البدء إذ قال: "«اثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»" (تك ١: ٢٨). ولكننا نعرف جيداً أن آدم راهَن خاسراً على رئاسته بارتكابه الخطيئة، والآن وفي المزمور الثامن تلك الرئاسة تُؤَكَّدُ لذاك الذي يُدعى ابن الإنسان، الذي لم يَكُنْهُ آدم أبداً. إن استخدام الرسول بولس للمقطع هنا في الرسالة إلى العبرانيين يوضح أن آدم الأخير هو من يشير إليه المزمور هنا. وهكذا، إذ نقرأ هذه الكلمات، نفكر بذاك الذي سُرَّ بلقب "ابن الإنسان" لأنه يتحدث عنه كحاكم معين ممسوح على كل الأرض، والذي سيعتقها ويحررها من عبودية الفساد. لقد وُضع قليلاً عن الملائكة، أي صار إنساناً، والناس في حالتهم الحالية هم أنقص من الملائكة، رغم أنه عند اكتمال الفداء سوف تكون لنا مكانة أعلى مما يمكن للملائكة أن يطمحوا إليه. ذاك الذي أخذ لتوه تلك المكانة من الإذلال قد استُقبل في السماء كإنسان متوجاً بالمجد والكرامة والشرف، وبأمر إلهي أُقيم سيداً على كل الخليقة. إذ أن الله عيّنه وريثاً لكل شيء ورسم أن يخضع كل شيء تحت قدميه. إنه لا يترك شيئاً غير خاضع له. وله السلطة الأسمى والأعلى.

ولكن إذ ننظر في العالم حولنا اليوم، هل يمكننا أن نعتقد لوهلة أن سلطته تسود؟ "لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له"، ورغم مرور قرون عديدة على كتابة هذه الرسالة إلى العبرانيين، فإننا لا نزال نرى أن التمرد يميز هذا الكون الوطيء. إن الناموس الإلهي يعوَّم. ونعمة الله تُرذل. وكلمته تُرفض. وروح قدسه يُتجاهل. وشعبه لا يزال مدعواً ليتألم من أجل البرّ. بالتأكيد، إن كل الأشياء ليست بعد تحت سيطرته. ولعل هذه هي النتيجة الطبيعية التي سنأتي إليها إذا ما نظرنا فقط إلى الأشياء المرئية.

ولكن عندما ننظر بعين الإيمان، ومن خلال منظار الكلمة، فإننا ننفُذ إلى السماوات، ونرى يسوع الذي وُضع يوماً أقل من الملائكة من ناحية ألم الموت، والذي لا يزال حتى الآن مكللاً بالمجد والكرامة. إنه يجلس ممجداً على عرش الأبدية كإنسان ممجد على يمين عظمة الله في العلاء. لقد جعله الله فوق كل شيء، وهذا دليل حاسم قاطع لنا بأن كل الأشياء ستخضع له.

لاحظْ السبب الرئيسي لهذا الإخزاء. لقد وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ: أي بسبب هذه الأمر. من غير الممكن أبداً أن تموت ألوهية كهذه. إن كان سيذوق الموت مثل أي إنسان، فيجب أن يصبح إنساناً، إذ فقط لكونه إنساناً يمكن أن يموت. هذا هو السر الذي تتبدى ملامحه في الرمز القديم في لاويين ١٤: ٥ فيما يخص تطهير المجذوم (المصاب بالجذام)، فقد كان الكاهن يُؤمر بأن يأخذ عصفورين حيين وطاهرين. فيُذبح العصفور الواحدُ في إناء خزفٍ على ماء حي. أما العصفور الآخر فكان يجب أن يُغمس في دم العصفور المذبوح ويُترك في الحقل طليقاً. لقد كان العصفوران يرمزان إلى المسيح. الأول يرمز إليه على أنه الإلهي (الطبيعة) الذي دخل إلى آنية البشر الترابية الأرضية لكي يموت. والثاني يرمز إليه في كونه القائم من بين الأموات الذي عاد إلى السماء بكل قيمة دمه الثمين نفسه.

فيجدر بنا إذاً أن نلاحظ بعد كل شيء أنه لم يذق الموت من أجل كل إنسان. يوضح سياق النص أن "الكل" الذين مات من أجلهم هي بالمحيّر في اللغة الأصلية. لعله من الأصح ترجمة الآية على الشكل التالي: "لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ شَيْءٍ". إذ بموته ليس فقط سيخلص الخطأة ويأتي المفتدون إلى بركة أبدية، بل إن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد، وكل شيء في السماء والأرض سيأتي أخيراً إلى تناغم مع الله. لا شيء من المصالحة المنتظرة سينالها أولئك الذين يفضّلون خطاياهم عن عمد على الخلاص المقدم مجاناً.

القسم ب. أصحاح ٢: ١٠- ١٨

كمال رئيس خلاصنا بالألم

هذا القسم هو أحد الأقسام الأكثر أهمية وغنىً في كل الرسالة ويتطلب عناية ودراسة مركزة، إذ أن هناك خطر جسيم في سوء فهم بعض الإعلانات العظيمة فيه ما لم نكن على معرفة بما تكشفه كلمة الله في مكان آخر فيما يخص شخص وعمل الرب يسوع.

لو صار رئيس خلاصنا، أو حرفياً قائد رتل خلاصنا ذاك الذي هو نفسه طريق الحياة ويقودنا في تلك الطريق، فلا بد له أن يُكمل بالآلام. ولكن لاحظوا كيف أن مجده كخالق مؤكد بإصرار عندما تكون آلامه على مرمى النظر. "لقد صارت هو"، أي صارت متساوقة متناغمة معه تحت وطأة الظروف، "الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ"– على نفس المنوال كما يرد في كولوسي: "كل شيء به كُوّن ومن أجله"– إن كان سيأتي بأبناء كثيرين إلى المجد (ونعرف أن هذا هو ذات السبب الذي لأجله جاء إلى العالم)، ليصيروا مكمَّلين، ليس بالنسبة إلى شخصه، بل إلى الخلاص الذي يحققه بالآلام. لم يكن هناك أي نقص أو عيب فيه كإنسان. لقد كان دائماً الكامل، ولكن دعونا لا ننسَ أن حياة يسوع الكاملة لم تكن أبداً لتخلّص ولو خاطئاً بائساً واحداً. لكي يصير رئيس خلاصنا، وليقود

كثيرين إلى المجد، يجب عليه أن يمر عبر طريق جتسماني والجلجثة، حيث كُمِّل بالآلام. لولا آلامه المبرحة القاسية، ما كان ليصير هناك فداء للرجال والنساء الضالين.

وفي الآية ١١ لدينا النتيجة المجيدة لآلامه. فـ "الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ". أن تقدس يعني أن تفصل أو تفرز. لقد فرز نفسه لكي يصير مخلصنا. "لأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ" (يوحنا ١٧: ١٩). والآن وإذ عاد إلى المجد الذي منه أتى، فهو نفسه يقدس جميع خاصته. لقد جُعل لنا حكمة، وحتى براً وتقديساً وفداءً. كل مؤمن قد فُرز من قِبَلِهِ وفيه لله الآب، ولذلك يمكن القول عنه وعنا أننا "جميعنا من واحد". أي أن جميعنا من أب واحد أو عائلة واحدة. ولذلك فهو لا يستحي أن يدعونا أخوة. إن قلوبنا البائسة لا تملك إلا أن تدرك مدى التفاهة التي كنا عليها والتي لا نزال، وكيف أنه لو كان يخالف ما هو عليه، لكان سيستحي من خاصته ومنّا كإخوة له. إلا أننا قد صرنا مشاركين في حياته الإلهية، حياة أبدية لا يمكن للخطيئة أن تمسها أبداً. وهكذا فإنه يمتلكنا بابتهاج معتبراً إيانا إخوته، وأضيف القول أنه ما من موضع آخر في الكتاب المقدس يتحدث إلينا على أنه أخٌ لنا. يقول (يسوع): "أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً وَحَسَناً تَقُولُونَ لأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ". ولكن ذاك الذي نُسر بأنه ربنا، يدعونا أخوته بنعمة عجيبة.

في المزمور ٢٢ نراه معلقاً على الصليب، ذاك المتروك، يشرب المرارة والمر، حاملاً الدينونة التي كانت خطايانا تستحقها. في الآيات ١ – ٢١ من ذلك المزمور نراه لوحده، يحتمل على يد الله وزر إثمنا الذي نستحقه. ثم من الآية ٢٢ فصاعداً لا يعود لوحده، بل يظهر على أنه القائم محاطاً بحشد كبير يدينون بخلاصهم لآلامه على العود (الصليب)، فيهتف في قيامة قائلاً: "أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبّحك". هذا هو المقطع الذي يُقتبس منه في الآية ١٢ من أصحاحنا؛ أما بالنسبة لـ "الجماعة" فلدينا الكلمة "كنيسة"، والتي هي ترجمة كما نعلم للكلمة اليونانية (*ekklesia*). وهذه الكلمة استُخدمت في الترجمة السبعينية بديلاً عن الكلمة "الجماعة" الواردة في النص العبري. إنها جماعة المفتدين، وفي وسط هذه الجماعة يتخذ المسيح القائم مكانه كرئيس للجوقة يرفع التسابيح والتماجيد التي في قلوب شعبه.

لقد وطئ يوماً طريق الإيمان بنفسه، كما نفهم من الاقتباس الوارد في الآية ١٣ من أشعياء ٨: ١٧: "«أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ»". فكإنسان على الأرض هنا، سار عبر برية هذا العالم بإيمان مطلق كامل بالآب، متطلعاً إلى الوقت الذي يمكنه فيه، وهو محاط بجميع خاصته، أن يقول كما يرد في الاقتباس المستمد من الآية ١٨ من نفس الأصحاح: "«هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ»". ولكن هذه الكلمات لا تنطبق بالأساس على أشعياء وأولاده. إن نبي العهد القديم لم يكن سوى رمز للرب نفسه الذي نطق هذه الكلمات بالروح القدس على لسان أشعياء.

في الآيات ١٤ و ١٥ نقرأ: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ". من الضروري أن نعطي انتباهاً أكبر ما يمكن لما يُقال هنا لئلا نقلل أو ننتقص، ولو عن غير عمد، من مجد ناسوت ربنا المبارك. إن قراءة غير معمقة للجزء الأول من الآية ١٤ قد توحي بأن مخلصنا

شارك في كل شيء مرتبط باللحم والدم. في الواقع، كان هذا التعليم منتشراً عند كثيرين. بحسب قولهم، ابن الله أخذ طبيعة بشرية بكل خطيئتها وكل قصورها ومحدوديتها من الجهل، ولذلك ورغم أنهم يقرون أنه كان بمعنى من المعاني إلهاً في الحقيقة متجلياً بالجسد، فإنهم يرون أن اللاهوت محتجب في الطبيعة البشرية الآثمة البائسة المتدنية؛ ولذلك فهو غير قادر أن يُعرِّف عن نفسه بامتلائه. ولكن ما يُقال لنا هنا هو أنه بما أن أبناء الإيمان هم كائنات بشرية، وليسوا ملائكة، كما يشير الكاتب في الآية ١٦، فلذلك، ولكي يكون المخلِّص الحقيقي أو الفادي لبني قومه، فقد أصبح إنساناً بنعمةٍ لا متناهية وهكذا أخذ جزءاً من نفس الطبيعة البشرية. هذا لا يعني بأي شكل من الأشكال أنه أخذ طبيعة بشرية دنسة مشوهة. وهذا ما حذَّر منه الروح القدس بأوضح شكل ممكن وهكذا أمكن للملاك أن يقول لمريم: "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ". في حين أن التعابير مثل "تَشَارَك" أو "مُشارِكٌ" تبدو على أنها تعني مشاركة كاملة، إلا أن الكلمة في الأصل قد لا تعني ذلك بالضرورة. فيما يلي تعليق مفيد للغاية بقلم ف. و. غرانت الذي لا أعرف شارحاً أو مفسراً روحياً أعظم منه: "لا بد وأن نلاحظ هنا، كما كان الحال دائماً، أنه بينما يُقال أن الأولاد مشاركين في اللحم والدم– فإن هذه "المشاركة" حقيقية، وهي مشاركة من النوع الأشمل– وأما عن "اشتراكه" هو أيضاً فهناك كلمة أخرى مستخدمة فيها دلالة على المحدودية. إنها لا تُظهر صفة المحدودية؛ ولكن الفرق بين الكلمات يجعلنا نتساءل بالضرورة عن ماهية تلك المحدودية في الواقع؛ ويأتينا الجواب مباشرة أنه بينما كان يتمتع بناسوت حقيقي في كل ما هو ضروري بشكل خاص لتشكيله، رغم أن هذه الخاصية موجودة في الطبيعة البشرية، إلا أنه لم تكن له نفس الطبيعة البشرية التي في الإنسان الساقط. يجب أن يكون لدينا هنا محدودية شديدة. وينبغي أن نضيف قائلين، وكما يفعل الرسول بولس فيما بعد فيما يخص تجربته، أنه كان "معزولاً عن الخطيئة". إن الخطيئة، وتبعاتها، لم تتمكن منه. وما أمكن للموت أن تكون له سلطة عليه، إلا في كونه خاضعاً له طوعياً، وهذا ما فعله؛ لكنه كان إطاعة لإرادة أبيه، وليس ضرورة تفرضها حالته، كما هي حالنا" (الكتاب المقدس المُشوهَد، تعليقات على الرسالة إلى العبرانيين، ص ٢٣).

إن تذكرنا أن الخطيئة ليست متأصلة في الطبيعة البشرية، على ذلك النحو، بل إنها أمر غريب دخيل أصابها من جراء السقوط، فيمكننا عندئذ أن نفهم كيف أمكن القول أن ربنا المبارك "اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا"، دون أن تكون مشاركة كاملة في كل ما تأتَّى عن سقوط الإنسان وإخفاقه. لا بد أنه ذاك الذي بلا لوم إن كان سيكفر عن الخطايا. بسبب الإخفاق في إدراك ذلك فإن أنظمة مخطئة كثيرة قد بُنيت على التعليم القائل بخطيئة وإثم طبيعة المسيح البشرية، هذا التعليم الذي سيبغضه دون شك كل مهتدٍ حقيقي.

إذ صار إنساناً على هذا النحو، رغم أنه كان بلا خطيئة، فإن ربنا قد أصبح نصير الإنسان ومضى كمثل داوود ليُهلِك أو يمحق جوليات الجبار الذي كان قد أرعب العالم منذ السقوط، أعني به "ذاك الذي له قوة الموت، أي الشيطان". لقد كان الصليب بالنسبة للمسيح كمثل وادي البطم حيث واجه العدو المتوحش اللدود وأنهى سلطانه على أرواح كل أولئك الذين يؤمنون بالإنجيل، ومعتقاً إيانا هكذا الآن، نحن الذين عانينا عبودية مريرة في حياتنا في الماضي بسبب الخوف من الموت. إن الشيطان عدو مهزوم وما عاد أي مؤمن ليخشاه الآن، لكننا ملزمين لأن نتيقظ ونصلي لئلا يضللنا ويعيق تواصلنا مع الله، رغم أنه يعرف جيداً أنه لا يستطيع أن يُهلك حياتنا.

يبدو أن الآية ١٦، ولسوء الحظ، قد تُرجمتْ على نحو خاطئ أحياناً، ولكن الترجمة الصحيحة والسليمة هي: "لأَنَّهُ حَقّاً لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إبراهيم"، أي أن المسيح لم يأتِ ليكون مخلصاً للملائكة الساقطة. لقد أُغلقَ عليهم إلى الظلمة الأبدية، ولكن (المسيح) بنعمةٍ غير متناهية تجاوز الملائكة وتمسَّكَ بنسل إبراهيم أي بكل أولئك الذين يؤمنون به. لكي يقوم بذلك، كان من الضروري أن يصير مثل إخوته، كما نراهم، وبذلك يعبر بدون خطيئة خلال كل الخبرات البشرية، هو رَئِيس كَهَنَةٍ رحيم وأَمِين فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى– ليس ليصنع "مصالحة" مع الله– كما يرد في بعض الترجمات– بل لِيُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْب. وبهذا نرى اكتمال وتحقيق رمز يوم الكفارة العظيم عندما كان رئيس الكهنة يقدم أولاً الذبيحة على المذبح وثم يقدم الدم في قدس الأقداس. وهكذا ربنا، في ختام رحلة حجه، ومن أجلنا، قدم نفسه ذبيحة على الصليب ليصنع كفارة تعويض واسترضاء عن خطايانا. إن الكلمة الأصلية المستخدمة في الترجمة السبعينية في العهد القديم هي الكلمة المناسبة المقابلة للكلمة العبرية. والمصالحة هي نتيجة هذا، ولكن نحن من نتصالح مع الله، وليس عليه هو أن يتصالح معنا.

والآن رئيس كهنتنا العظيم يحيا في الأعالي وهو مستعد لأن يعين ويسعف أولئك الذين يتعرضون للتجربة. إذ عانى هو نفسه من التجربة، فإن قلبه يعطف ويحنو علينا عندما نكون في حاجة عظيمة. لاحظ التباين بين هذا المقطع وما يرد في ١ بطرس ١: ٤. فهنا نقرأ أن المسيح "تَأَلَّمَ مُجَرَّباً". وفي ذاك المقطع نعلم أنه "تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ". هذا يُظهر على أوضح شكل الفرق بين ناسوت المسيح الكامل وطبيعتنا الخاطئة الآثمة. إن الخطيئة بالنسبة لنا جاذبة وفاتنة مغرية. إننا نتألم بالجسد عندما نقاومها. أما معه فكان الحال هو العكس تماماً. لقد سببت له التجربة أشد الآلام. إن تعرض روحه المقدسة للتجارب التي كان يمقتها بشدة، والتي كان ينبغي عليه أن يعالجها، بمعنى الإغواء، قد سببت له الألم والكرب.

القسم ج. أصحاح ٣: ١- ٦

كرامة الابن على بيت الله

إذ قد تعرفنا إلى المسيح يسوع كرئيس كهنة اعترافنا، فإننا مدعوون الآن لأن نتأمل به في شخصه كرسول التدبير الجديد. إن المسيح هو الذي حل محل موسى وهارون. كان موسى رسول الشعب المفروز لله الذين كانوا مشاركين في الدعوة الأرضية، وهارون كاهنهم العظيم. لكن يسوع هو بآن معاً رسول ورئيس كهنة للأخوة المقدسين، مقدسين كما رأيناهم لتونا، لأنهم مفروزون لله به، وهكذا فهم مشاركون في الدعوة السماوية.

إنه يبزُّ موسى بشكل لا حد له لأن موسى، ورغم إيمانه في ذلك الوقت، كان مجرد خادم في بيت الله، أما المسيح فهو باني البيت وابن بيته، الذين نحن بيته، إن حافظنا على الثقة والإيمان والابتهاج بالرجاء الثابت حتى النهاية. لاحظوا أن التعبير "بيت" يستخدم هنا بثلاثة معانٍ. البيت الذي كان موسى مؤمناً فيه كان خيمة الاجتماع. ولكن خيمة الاجتماع كانت نموذجاً للأشياء السماوية، ولذلك فإن البيت الذي بناه الله هو الكون. لكن البيت الذي عُيّن المسيح له والذي ننتمي إليه هو ذلك البناء المكون من الحجارة الحية التي لكل مؤمن مكان فيها.

والآن لدينا أول كلمة تحذير. فلئلا نبدو، في إبقائنا على ثقة مؤقتة، ومتشجعين بالفرح الذي يعطينا إياه ذلك الرجاء بالمسيح، كمن يعوزه الإيمان الحقيقي. إن كلمة "إن" في الآية ٦ هي اختبار اعتراف. لقد كان من الممكن جداً عندئذ، ولا يزال الأمر كذلك، أن ينخرط الناس في جماعة مسيحية ويجدون مقداراً معيناً من السرور والسعادة التي تنبع من المعرفة الفكرية بالمسيحية، ويبقون على هذه الحال دون أن يولدوا حقاً لله. إن الاستمرارية تبرهن حقيقة اعترافنا. وهذا ما يؤكد عليه القسم الذي يلي.

القسم د. أصحاح ٣: ٧- ٤: ١٣

المخلص المكمّل يقود شعبه عبر البرية إلى السبت الأبدي مع الله: تحذير من التقصير

في هذا الجزء المطول يستمر التحذير ويستند على خبرات بني اسرائيل في القديم. كما أن آباءهم تركوا مصر في عدد وافر، مع ذلك فإن الكثيرين (في الواقع الغالبية) قد أخفقوا في دخول أرض كنعان بسبب عدم الإيمان؛ وهكذا فإن عدداً كبيراً من اليهود قد صاروا خارجياً أو في الظاهر مطيعين للإيمان، ولكن كان هناك دائماً وأبداً خطر أن يكون اهتداؤهم إلى المسيحية مجرد أمر فكري وأن تخليهم عن اليهودية لم يكن سوى ما يعتبره الناس اليوم أحياناً "تغيير الدين". ومن هنا أهمية أن يمتحنوا أنفسهم على ضوء كلمة الله والتأكيد على أن "يجعلوا دعوتهم واختيارهم أكيداً" كما يقول الرسول بطرس في مكان آخر. إننا مخلّصون كلياً بالنعمة، ولكننا مخلوقون في المسيح يسوع للأعمال الصالحة، كما نقرأ في الرسالة إلى أهل أفسس، وليس لأحد الحق بأن يعترف بأنه مسيحي إن لم يكن يسعى للعيش لمجد الله. إن لم تكن هناك طبيعة تبتهج بإرادة الله، فالأسباب التي تدعو للشك فيما إذا كان المرء قد خلص حقاً تصبح كثيرة.

وهكذا لدينا كلمة تحذير مأخوذة من المزمور ٩٥: ٧- ١١: "لأَنَّهُ هُوَ إِلَهُنَا وَنَحْنُ شَعْبُ مَرْعَاهُ وَغَنَمُ يَدِهِ. الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي مَرِيبَةَ مِثْلَ يَوْمِ مَسَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ. حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ. اختَبَرُونِي. أَبْصَرُوا أَيْضاً فِعْلِي أَرْبَعِينَ سَنَةً مَقَتُّ ذَلِكَ الْجِيلَ وَقُلْتُ: [هُمْ شَعْبٌ ضَالٌّ قَلْبُهُمْ وَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي]. فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لاَ يَدْخُلُونَ رَاحَتِي!". لاحظ كيف يبدأ الاقتباس هنا بالقول: "كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ". إنها ليست مجرد كلمة لداود أو كاتب آخر مجهول ما، بل إنها كلمة الروح القدس نفسه هي التي تحذر أولئك الذين يعترفون باسم الرب بينما تتقسى قلوبهم ويسلكون في العصيان.

لهؤلاء العبرانيين يوجّه التحذير أن: "اُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الاِرْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ، بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ. لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ (رفقاء) الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ" (الآيات ١٢- ١٤). إن الإيمان يتجلى بالسلوك التقي الورع. حيث يكون هناك نقص في الإيمان، قد تبدو الحياة الخارجية لوقت ما متساوقة ومتناغمة مع الاعتراف المسيحي، ولكن في نهاية الأمر ستفرض الطبيعة القديمة الجسدية الدنيوية ذاتها ويحدث رجوع إلى العالم؛ أو، كما الحال هنا، إلى ذلك الدين الدنيوي المجرد الذي يحررنا المسيح منه. هذه الـ "إنْ" الثانية مرتبطة بالآية ٦ ، ومن جديد نجد تذكيراً أن الاستمرار في السير بالإيمان هو الدليل على الاعتراف المسيحي الحقيقي. في الآيات الخمس الأخيرة من هذا الأصحاح الثالث، يستخدم روح قدس الله حالة بني اسرائيل

في القفر كتحذير رزين مهيب لكل أولئك المعترفين الذين انطلقوا في رحلة حجهم. الشعب الذي سقط في البرية في العهد القديم هم أولئك الذين لم يؤمنوا. لم يدخلوا أبداً إلى راحة الله. وفي الواقع، لم يستطيعوا فعل ذلك بسبب عدم إيمانهم. تلك الراحة كانت كنعان بالطبع، رمز الراحة التي تبقى لشعب الله الآن.

يتتابع الموضوع في الآيات الـ ١٣ الأولى من الأصحاح ٤. "فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ!" إن الراحة التي يتم الحديث عنها هنا ليست البهجة الحالية التي في المسيح الآن كما تخيل كثيرون، بل إنها تشير بشكل واضح إلى تلك الراحة، كما في حالة شعب اسرائيل، التي تأتي في نهاية الطريق. يا له من أمر جليل مهيب لكل من يفوته ذلك في نهاية الأمر! إن الأنباء السارة عن الراحة العتيدة، قد سمعنا بها مثلهم تماماً. فلنحاولْ إذا أن نرى كيف نستفيد من ذلك بطريقة لم يفعلوها، مبرهنين حقيقة إيماننا من خلال سلوكنا.

ثم لدينا في الآية ٣ الراحة الحاضرة كمؤمنين حقيقيين بالله، وهكذا نستمتع براحة الإيمان. إن الاقتباس المستمد من المزمور ٩٥ يشار إليه هنا أيضاً من جديد لكي يُظهر لنا أن الراحة التي يجري الحديث عنها هنا ما كانت تشير فقط إلى الراحة عند الخلق، لأن الله دخل إلى ذلك قبل كتابة هذا المزمور بقرون وألفيات، كما نقرأ في تكوين ٢: ٢: فقد "اسْتَرَاحَ (الله) فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ". ولكن المزمور يقول: "لاَ يَدْخُلُونَ رَاحَتِي"، مظهراً أن الراحة كانت لا تزال في المستقبل. ولم تكن تلك راحة كنعان وحسب، لأنهم كانوا قد وصلوا إلى كنعان قبل وقت طويل، رغم أن أولئك الذين لم يؤمنوا قد فاتهم ذلك. إلا أن هناك راحة أخرى وهي أفضل في فكر الروح، إذ لو كان يشوع قد أعطاهم راحة، لما كان الله قد تحدّث وكأن راحتهم كانت لا تزال في المستقبل العتيد. من المعروف جيداً أن اسم ربنا المبارك الذي نلفظه يسوع في اليونانية هو البديل للاسم يشوع في العبرية، وإذاً قائد اسرائيل العظيم ومخلصنا العظيم كلاهما كانا يحملان نفس الاسم. فيشوع قاد أولئك الذين آمنوا إلى راحة كنعان. ويسوع يقود أولئك الذين يؤمنون إلى راحة الإيمان حالياً والراحة الأبدية لاحقاً. إن كلاهما يرد ذكره في الآيات ٩- ١١: "إِذاً بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضاً مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هَذِهِ عَيْنِهَا". في الآية ٩ إنها راحة أبدية، حفظ يوم الرب الذي لن يكون له نهاية، في حين الآية ١٠ تتحدث عن تلك الراحة التي ندخل إليها الآن ونتمتع بها لأننا "نسلك بالإيمان وليس بالرؤية". لدينا هنا حثٌ وتحريض على أن نكون جديين لئلا نقصر عن نصيبنا الخاص اللائق بنا في المسيح.

وإننا في حاجة لأن نتذكر أن كلمة الله هي مقياس للدينونة دائماً وأبداً، وليس معرفتنا بها. ومن هنا أهمية أن نصبح كلياً على معرفة بالحقيقة المعلنة في الكتابات المقدسة. "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا" (الآيات ١٢، ١٣). لا يمكننا إلا أن نلاحظ كم هو عميق ارتباط وترابط الكلمة المكتوبة مع الكلمة السرمدية الأبدية. من الواضح أن الآية ١٢ تشير إلى الحقيقة المعلنة. إنها كَلِمَةَ اللهِ التي توصف بأنها حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ و"أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ

إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ"، أي أنها تميز بين هذين الجزأين من الإنسان الداخلي وأيضاً تفصل بين الْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وتضع فارقاً بين ما هو ظاهرٌ خارجي وما هو مخفي؛ كما وأنها "مُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ". يتجرأ الناس على الانتقاد وعلى أن يجلسوا على كرسي الإدانة لكلمة الله، ولكننا نعلم هنا أن الكلمة نفسه هو المنتقد الأسمى لأعمق أعماق أفكارنا ونياتنا. من الواضح من خلال هذه الآية الـ ١٢ أن الحديث يجري هنا عن الكلمة المكتوبة، أما فيما يلي ذلك مباشرة فلدينا استخدام الضمير الشخصي، ما يدلنا على أن الكلمة الحية هو أمام الروح الآن، وهو الذي لا تخفى عليه خافية والذي تكون كل الأشياء مكشوفة معرّاة أمام ناظريه الكلية القدرة. يا لها من أهمية بالغة أن يكون أولئك الذين ينبغي أن يتعاملوا معه حقيقيين وصادقين ومخلصين في كل طرقهم.

الجزء ٣. الأصحاحات ٤: ١٤- ١٠: ٣٩

كهنوت المقدس الإلهي يفوق ذاك الذي لهرون، استناداً إلى الذبيحة الأعظم التي ليسوع المسيح

القسم الفرعي ١. أصحاح ٤: ١٤- ٧: ٢٨

الكهنوت الممجد، على رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ، ولو على نمط هارون

سوف نتأمل الآن في كهنوت المسيح، وهذا موضوعٌ قيّمٌ وعجيبٌ يعني الكثير لجميع المؤمنين خلال جلوسه الحاضر إلى يمين الله في السماء، ولكنه شيءٌ لم يستطع المؤمنون اليهود أن يدخلوا إليه باهتمامٍ غريب مميز بسبب علاقتهم السابقة مع المَقدِس الأرضي ورئاسة الكهنوت لهارون وأولاده.

هناك أناسٌ اليوم يَنكرون كلياً خدمة المسيح الكهنوتية في الكنيسة. إنهم يقولون (إذا أردنا أن نستخدم نفس اللغة التي يتحدث بها أحد هؤلاء المعلمين في هذه المدرسة): "إن المسيح ليس رئيس كهنة لي؛ إنه رئيس كهنة لاسرائيل، وليس لأجل الكنيسة التي هي جسده. إن كل المؤمنين هم الآن جزء من الكهنوت السامي ويفترض فينا أن نلتمس الرحمة لاسرائيل في المستقبل". يا له من هاجسٍ غامضٍ غريبٍ يرزح تحته أولئك الذين يستطيعون أن يستخدموا هكذا لغةٍ! المسيح، رأس الجسد، الذي هو الكنيسة، هو أحد المظاهر أو الوجوه التي يحضرُ فيها ربنا المبارك في الكلمة، ولكن المسيح كرئيس كهنة هو مظهرٌ آخر مختلفٌ كلياً. كأعضاء في الجسدِ، يُنظر إلينا على أن لنا علاقة خاصة مميزة معه وهذا لا يشتمل على فكرة الإخفاق أو النقص والضعف. ولكن كأناسٍ حُجَّاج مرتحلين نعبر خلال عالمٍ خاطئ لدينا رئيس كهنة عظيم يمثّلنا دائماً وأبداً أمام الله في السماء ويخدمُ حاجاتنا عندما تنشأُ من حينٍ إلى آخر. إن سلب هذه الحقيقة المباركة من المسيحي يعني أن نتركه بائساً بالفعل. ولكن ذلك التعليم هو جزء وحسب من نظامٍ تدبيري كبير يُذوي النفس إلى أقصى الحدود، ويشغل مُريديه بالتمييزات الدقيقة التي غالباً ما هي غير كتابيةٍ بدلاً من أن يشغلهم بالمسيح نفسه وعمله من أجلنا.

إن القسم الذي ندخل إليه الآن، والذي يمتد من الآية ١٤ في الأصحاح ٤ إلى الآية ٣٩ في الأصحاح ١٠، هو أكبر جزء من الرسالة وكما صرّحنا تواً إنه يفتح أمامنا منظومة واسعة من الحقيقة الثمينة، أعني بها كهنوت المقدس الإلهي، كهنوتٌ أسمى بكثيرٍ من النظام الهاروني، ليس فقط بسبب الشخصية المتميزة للكاهن نفسه، بل بسبب الذبيحة الأعظم على الإطلاق التي يقوم عليها، ألا وهي تقدمة جسد يسوع المسيح مرة عن الجميع على الصليب من أجل خطايانا.

الأصح أن نقول، أن للكهنوت علاقة بالسماوات. إن ربنا المبارك مُسح ليشغل ثلاثة مناصب– ألا وهي النبي، والكاهن، والملك. بينما تتوافقُ هذه المناصبُ الثلاثة وتتداخل مع بعضها إلى حد كبير، إلا أنه يمكننا القول عموماً أنه كان النبي على الأرض، وكان الكاهن في السماء، وسيحكم كملك عندما يرجع في المجد. هذا لا يعني، على كل حال، إنكار أنهُ كان ملكاً بحقٍ وحقيقةٍ عندما قدّم نفسه لبني اسرائيل في تلك الأيام وهو في الجسد. لقد

نُبذ وهو بتلك الصفة الخاصة عندما هتفوا قائلين: "ليس لنا ملكٌ إلا قيصر"، وبذلك فقد حققوا القول الذي ورد في سفر الأمثال: "سوف لن نجعل هذا الإنسان يملك علينا". وكان أيضاً رئيس كهنة في أنه رفع عينيه إلى السماء وقدم تلك الصلاة التشفعية الرائعة التي يسجلها لنا يوحنا ١٧. وكرئيس كهنةٍ، محققاً معنى الرمز من يوم الكفارة العظيم، قدّم نفسه لله ذبيحة بدلاً عنّا. ثم، أيضاً، نراه في دور النبي، عندما ظهر في جزيرة بطمس للرسول الحبيب وأعطاه رؤيا عجيبة تتعلق بالأشياء التي ستحدث بعد حين.

إن رئيس كهنة العهد القديم كان يجب بالضرورة أن يكون إنساناً، امرئ كان بإمكانه أن يدخل في نفس تجارب إخوته، وهكذا أيضاً أمكن لربنا يسوع المسيح أن يُظهر أنه إنسان حقيقي كما إلهٌ حقيقي، وبذلك يمكنه أن يدخل عملياً إلى كل آلام وصعوبات شعبه. هذا ما يؤكده لنا القسم الأول من الجزء الحالي من الرسالة.

القسم أ. أصحاح ٤: ١٤- ٥: ١٠

الإنسان في المجد، رئيس كهنتنا العظيم

"فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ. لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا، قَادِراً أَنْ يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضاً مُحَاطٌ بِالضُّعْفِ. وَلِهَذَا الضُّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ الْخَطَايَا لأَجْلِ الشَّعْبِ هَكَذَا أَيْضاً لأَجْلِ نَفْسِهِ. وَلاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ اللهِ، كَمَا هَارُونُ أَيْضاً. كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ». كَمَا يَقُولُ أَيْضاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، مَدْعُوّاً مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ".

لقد استشهدتُ بالمقطع كله لئلا تفوتنا رؤية الارتباط بين أقسامه المختلفة. لاحظوا أولاً أنه في الآية ١٤ يتم الحديث عن ربنا كرئيس كهنة عظيم في وقار شخصه وفي كمال أوصافه. لقد دخل (أو حرفياً "عَبَرَ") السماوات، ككاهن عظيم للشعب القديم، وقدّم تقدمة عند المذبح، ومرّ عبر الفناء والمقدس إلى قدس الأقداس. هكذا ربنا المبارك، قد مات على الصليب، قد مرّ عبر السماوات الأدنى المحيطة بهذه الأرض التي ندعوها الغلاف الجوي، الذي فيه تطير الطيور، والتي غالباً ما يتم الحديث عنها على أنها طيور السماوات؛ وعبر السماوات النجمية، يمتد الكون المخلوق إلى مساحة لا متناهية لا محدودةٍ؛ وصعوداً منه إلى سماء السماوات، مسكن الله، حيث اتخذ مجلسه كإنسان على العرش الأبدي. هناك يجلس ممجداً، يسوع ابن الله، اللقب الكامل الذي يعبر ببركة أكثر ما تكون عن ناسوته وعن لاهوته. ومن ناحية مجلسه هناك على يمين الله، نتشجع أن نتمسك بـ "الإقرار". وهذه نميزها عموماً على أنها ترجمة أفضل من كلمة "اعتراف"، إذ نعلم أننا نعترف بما هو ليس حقيقي. إننا "نُقِرُّ" بما هو حقيقي واقعي.

إن رئيس كهنتنا إذاً ليس ذاك الذي لا يميل قلبه إلى ظروفنا؛ وليس هو ذاك الذي لا يستطيع أن يتأثر أو يشعر بضعفاتنا. إنه إنسان حقيقي مثلنا، وفي الأيام التي كان فيها بالجسد كان "مُجَرَّباً فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا"، رغم أنه كان في منأى عن الخطيئة. إن التعبير "بِلاَ خَطِيَّةٍ"، قد اعتُبر غالباً على أنه يعني "بدون أن يُخطئ"، وكأنه يعني ببساطة أنه لم يقع في التجربة عندما تعرض لها، إلا أن الترجمة الدقيقة يجب أن تكون "بدون خطيئةٍ". أي أن الإغواءات التي تعرض لها كانت من الخارج كلياً. لم يُجَرّب أبداً بالخطيئة الطبيعية الداخلية كما حالنا نحن. لقد أمكنه أن يقول: "إن أمير هذا العالم يأتي وليس له شيءٌ فيّ". عندما نتعرض للتجربة من الخارج أو الظاهر، فإنه يكون في داخلنا خائن يسعى دائماً وأبداً ليفتح باب الحصن إلى العدو (الشيطان). ولكنه معه من نواحٍ أخرى. إن سأل أحد، كيف كان ممكناً للتجارب التي تعرض لها أن تكون واقعية كما هي حال تجاربنا؟ فدعوني أُذَكِّر أنه عندما تعرض آدم وحواء للتجربة أولاً، كانا كائنين بلا خطيئة، ولكن لكونهما مجرد بشرٍ، استسلما ودفعا الجنس البشري إلى الدمار والهلاك والكارثة. لم يكن المسيح فقط بريئاً بل قديساً، لأنه كان الله كما أنه كان إنساناً أيضاً.

"مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ" تعني بالطبع أن الإغواءات تعرض لها على يد الشيطان من ثلاثة مواقف يمكن لأي واحد منا أن يتعرض لها فقط: "شهوة الجسد، شهوة العيون، وغرور الحياة". إذ تعرضت للإغواء من هذه الجوانب الثلاثة، استسلمت حواء كلياً. "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ"– التعرض لإغواء شهوة الجسد؛ وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ"– التعرض لإغواء شهوة النظر (العين)؛ " وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ"– التعرض لإغواء غرور الحياة. لقد فشلت في كل التجارب. وتعرض ربنا يسوع المسيح لنفس التجارب في البرية. "قُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً"– التعرض لإغواء شهوة الجسد؛ "أراه جميع ممالك الأرض ومجدها"– شهوة النظر؛ ثم في الاقتراح الذي قدمه المجرب ليسوع أن يلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل كي تحمله الملائكة أمام ناظري الجمهور نجد شهوة كبرياء الحياة. ولكنه قابل كل اقتراح يقدمه الشرير بكلمة من كلمات الله. والآن كفاتح متوَّج يجلس ممجداً على يمين العظمة الإلهية في السماء، يتشفع لأجلنا، وإننا مدعوون لأن نَتَقَدَّم بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً بسبب إخفاقنا وسقوطنا، ولِنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ عندما نتعرض للتجربة.

إذ ندخل الأصحاح ٥ نجد تذكيراً بأن رئيس الكهنة كان يُؤخذ من الناس ويُفرز لخدمتهم فيما لله. كان عليه أن يقدم تقدمات أخوته وقرابينهم عن الخطايا. لاحظ الفرق. على الصليب قدم ربنا ذبيحة عن الخطايا. في السماء الآن، هو يقدم تقدماتنا من العبادة والتسبيح.

إن الكاهن الأرضي، ولأنه هو نفسه إنسان وعاجز كأي واحد من إخوته، كان يمكنه أن يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ. إذ يدرك إخفاقاته ذاته، كان من الضرورة أن يقدم ذبيحة استرضائية عن نفسه كما عن الشعب. وفي هذا نرى أعلوية أو تميز رئيس كهنتنا العظيم، الذي لم يكن في حاجة إلى تقدمة عن نفسه، بل بذل ذاته بدافع الحب للآخرين.

في الآية ٤ يذكّرنا بولس أنه ما من إنسان كان مخوَّلاً لأن يعيِّن نفسه كرئيس كهنة. لقد صار هكذا بدعوة إلهية، كما في حالة هارون الذي كان قد اختاره الله وكرسَّه لهذا المنصب العالي. ومع ذلك، فإن المسيح لم يجعل نفسه رئيس كهنة، بل الله الآب هو من عيّنه هكذا عندما صرَّح ناطقاً بكلمات المزمور ٢: "«أَنْتَ ابْنِي أَنَا

الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»". إن كهنوته لم يكن من النظام اللاوي بل بمواصفاتٍ مختلفةٍ كلياً تماماً، كما كُتب في المزمور ١١٠: ٤، "«أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ»". ما تعنيه هذه الكلمات سوف نراه بجلاء عندما نأتي إلى التمعن في الأصحاح ٧. يكفي أن نشير هنا إلى أن ملكي صادق كان قد عُين كاهناً من قِبَلِ الله الفائق السمو قبل قرون من مجيء الكهنوت اللاوي إلى الوجود. فهذا الأخير، كما العهد التشريعي الذي كان مرتبطاً به، جاء فقط كـ "تحصيل حاصل"، واتخذ مكانته إلى أن جاء الابن، الذي كان يجب أن يأتي على مثال ملكي صادق.

في الآيات ٧- ١٠يؤكد الروح (القدس) من جديد على حقيقة ناسوته ومشاركته في كل الخبرات الخالية من الخطيئة التي كانت لشعبه. " فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ" عندما كان هنا على الأرض في حالته البشرية الإنسانية، وطئ طريق الإيمان وأخذ مكانة الاعتماد على الآب، "إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ". فلا بد أن نلاحظ هنا أنه لم ينجُ من الموت ولا صلى أو تضرع لكي يتخلص من الموت، ولم يخشَ الموت. لقد جاء إلى العالم ليموت، لأجل ذلك الهدف نفسه؛ ولكنه أُنهض من الموت، إذ أقامته قوة الله. يا لها من شهادةٍ تلك الدموع التي كانت تدل على حقيقية ناسوته! إننا نقرأ أنه بكى ثلاث مرات. لقد بكى عند قبر لعازر وهو يتفكر ملياً في التخريبات المريعة التي كان الموت قد أحدثها، وكانت تلك الدموع دموع التعاطف المحب. وبكى وهو ينظر إلى أورشليم وروحه النبوية ترى الضيقات التي ستمر بها، من كل بدٍّ، تلك المدينة المكرسّة. وبكى في بستان الجَثْسَيْمَاني عندما انقبضت روحُه من شرب كأس النقمة الإلهية ضد الخطيئة، عندما سيعلق على الصليب. في حين أن الكأس ما كان يُمكن تجنبها، إلا أنه قد "سُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ"، أي، وليس كما قال البعض، في إزالة تلك التي كان يخشاها، بل بالعكس بسبب خشيته التقوية، وتبجيله لإرادة الآب. وهكذا فإن ذاك الذي هو الابن السرمدي، ذاك الذي لم يعرف معنى الخضوع أو الإذعان، قد صار إنساناً، وإذ وطئ طريق الحج في الألم وفي الرفض هنا على الأرض، تعلم الطاعة بالأشياء التي عاناها. ليس الأمر أن إرادته كان عليها أن تُقهر بل من اللحظة التي أخذ فيها الطبيعة البشرية دخل إلى خبرات جديدة، وذاك الذي كان يأمر دائماً تعلم عملياً ما معنى الطاعة.

وهكذا وإذ كُمِّل كرئيس خلاصٍ، بحسب الآية ٢: ١٠ التي تأملنا بها لتونا، أصبح سبب الخلاص الأبدي لكل أولئك الذين يتبعونه في طاعة الإيمان، وإذ أطرى عليه الله في القيامة محيّيًا إياه كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.

كم يحذّر الروح القدس من مجرد الاقتراح بوجود نقص أو عيب في طبيعة المسيح في حين أنه يؤكد على حقيقة ناسوته. إنه لسر عظيم هو سر الصلاح ذاك، لأنه، ذاك القدوس، قد تجلى في الجسد. والآن ككاهن ممجد، يدخل إلى كل آلام شعبه، متعاطفاً معهم في كل ضعفاتهم. إنه لا يتعاطف مع خطايانا، وفي الواقع سوف لن نرغب أن يفعل ذلك، ولكنه يشعر بنا بكل ضعفاتنا وهو على أهبة الاستعداد ليعطينا كل قوة نحتاج إليها في كل تجربة نمر بها.

القسم ب. أصحاح ٥: ١١- ٦: ٢٠

التحذير من الارتداد.

الأمان فقط في الاتكال على كلمة الله.

ننتقل الآن للتأمل في أحد تلك المقاطع من كتابات "أخينا المحبوب بولس"، كما يدعوه الرسول بطرس، تلك المقاطع "الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضاً، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ"[1]. ما من كلمة من كلام الله ترد عشوائياً أو تكون خالية من التعليم والإرشاد للمسيحيين، وهذه الآية هنا تتطلب أقصى درجة من الانتباه والدراسة المعمقة.

إن الجزء الختامي من الأصحاح ٥، الآيات ١١– ١٤ واضح للغاية. فمباشرةً بعد ذكر اسم ملكي صادق، يصرح الرسول قائلاً: "اَلَّذِي مِنْ جِهَتِهِ الْكَلاَمُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا، وَعَسِرُ التَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ بِهِ، إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَبَاطِئِي الْمَسَامِعِ". إن حقيقة الكهنوت الملكي صادقي لربنا يسوع سوف لن يكون مستساغ المذاق على اليهود وسيصعب عليهم فهمه إذ أهم تحت العبودية الناموسية. يكفي أن نسترشد بسفر أعمال الرسل، وبخاصة فيما يتعلق بزيارة بولس الأخيرة إلى أورشليم، لكي ندرك كم كان هناك آلاف من اليهود المؤمنين المترددين في السنوات التي تلت مباشرة دمار المدينة المقدسة وفي شعائر الهيكل التي أُبطلت لوهلة. إن أولئك الذين مضى وقت على اهتدائهم، كان يجب أن يكونوا قادرين تماماً على تعليم الآخرين، في حين نجد أهم هم أنفسهم كان يعوزهم التعليم ومعرفة الحقائق الأولية في كلمة الله. إنهم حتى لم يدركوا التمييز بين آمال اسرائيل التي هي أرضية وآمال الكنيسة التي هي سماوية. ولم يدركوا أيضاً الخاصية الانتقالية والظلّيّة للنظام اللاوي إزاء استمرارية وبقاء الوحي المسيحي. لقد كانوا جاهلين بأولى مبادئ إيحاءات الله، ولا يزالون يحتاجون إلى الحليب وهم عاجزون عن هضم اللحم الدسم. لقد كانوا أطفالاً في الحق عندما كان يُفترض فيهم أن يكونوا مؤمنين ناضجين. لقد جاء وقت للتأكيد على تنحية اليهودية والاستمرار إلى الحق الكامل في المسيحية. ولذلك فإنها خطوة كبيرة هامة هم مدعوون إليها مع بداية الأصحاح السادس.

لنكن واضحين جداً بخصوص ذلك. هذا التحريض للروح هنا لا يعني ترك خبرات المسيحيين الأوائل والمضي إلى عمل نعمة أعمق، كما يعتقد البعض. ولا يعني ذلك أيضاً الكف عن الانشغال بالحقائق الأساسية الأولية للمسيحية والتعمق في الأمور الأخرى. إنها دعوة لترك الرمزي من أجل الحقيقي؛ ترك الصورة من أجل الجوهر؛ ترك الوحي الجزئي في اليهودية (بأفضل معنى لهذه الكلمة) سعياً وراء الكشف الكامل للحق الذي في العهد التدبيري الجديد. إن اليهودية تدعى "كلمة بدء المسيح"، كما ورد في قراءة هامشية للجزء الأول من الآية ١. هذا يعني بالطبع كل الوحي الموسوي، وتعليم الأنبياء وخدمة يوحنا المعمدان. "كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ". إن الروح القدس يلخص هذه المبادئ الأساسية الأولية التي كانت لتُعِّد الأتقياء في شعب اسرائيل لمجيء المسيح بست نقاط. وهذه هي:

١– التوبة عن الأعمال المميتة.

[1] - (٢ بطرس ٣: ١٦).

٢– الإيمان بالله.

٣– عقيدة المعموديات: أو حرفياً التعليم المتعلق بالغسولات الطقسية.

٤– وضع الأيدي (فيما يخص التقدمات القربانية).

٥– قيامة الموتى.

٦– الدينونة الأبدية.

فلدينا هنا إذاً كل ما كان أساسياً في الدهر التدبيري السابق.

طوال فترة العهد القديم وخدمة يوحنا المعمدان، كان الناس مدعوين إلى التوبة عن الأعمال الميتة ومطلوباً منهم أن يضعوا إيمانهم في الله، إله اسرائيل. ومن خلال المعموديات الطقسية أو الغسولات التي يفرضها الناموس (كما في الأصحاح ٩: ١٠، ١٣) كان الناس يتلقون التعليم بالحاجة إلى التطهير، لكيما يحصلوا على علاقة شركة ومودة مع الله، تطهيراً كان من النجاسة الجسدية فقط، "إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ"، كما يقول بطرس (١ بطرس ٣: ٢١). إن وضع الأيدي ليس هناك ما يشير إليه سواء أكان وضع أيدي الرسل لاقتبال الروح القدس كما في سفر الأعمال، أو السيامة إلى الخدمة المسيحية كما افترض كثيرون. ليس من "عقيدة" لوضع الأيدي في أي مكان في العهد الجديد. إن الممارسة والعقيدة ليسا سيان. ولكن تحت النظام اللاوي، عندما كان المقدّمُ (مقدم الذبيحة) يضع يديه على رأس الأُضحية التي كانت تُقدم للرب لأجله، فإنه كان يضع صورة حقيقية هامة جداً تؤكد عليها هذه الرسالة بشدة. لقد كانت تعبّر عن التطابق والتماثل بين المقدم والتقدمة، وعملياً تتضمن تحول أو انتقال خطايا المقدم إلى التقدمة التي كانت تُمات كبديل عن الخاطئ. إن قيامة الموتى هي عقيدة أساسية في العهد القديم، رغم نكران الصدوقيين الدنيويين لها، ولكن الفريسيين كانوا يؤكدون عليها، وهذه يؤكدها بولس الرسول أيضاً على أنها عقيدة كتابية بارزة عندما يعلن بنفسه من هذه الناحية أنه لا يزال فريسياً حتى بعد اهتدائه إلى المسيح بسنوات. إن الدينونة الأبدية أيضاً هي جزء من الإعلان السابق. "لأَنَّ اللَّهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ إِنْ كَانَ خَيْراً أَوْ شَرّاً" (الجامعة ١٢: ١٤).

والآن لنلاحظ التغاير بين هذه النقاط الست والحقائق البارزة في المسيحية. ففي الإعلان اللاحق لدينا:

١– التوبة نحو الله (أعمال ٢٠: ٢١).

٢– الإيمان بربنا يسوع المسيح (أعمال ٢٠: ٢١).

٣– تطهير الضمير من الأعمال الميتة لخدمة الله الحي والحقيقية بغسل التجديد والتجدد بالروح القدس.

٤– التقدمة الواحدة الوحيدة لربنا يسوع المسيح التي يتطابق معها كل مؤمن على نحو كامل.

٥- قيامة الأموات (فيلبي ٣: ١١).

٦- ما من دينونة للمؤمن بالمسيح.

لاحظ كيف يتم إظهار التباين بشكل حيوي واضح في العهد الجديد.

إن المؤمن لا يتوب فقط عن الأعمال المميتة، بل هناك تغير كامل في الموقف نحو الله. إن الإيمان هو الآن بالرب يسوع المسيح بالتحديد الذي تبين أنه المخلص الوحيد للخاطئ. ما من تطهير خارجي أو ظاهر يفي بالغرض؛ وما من غسولات بماء (حرفياً) أو رش دم الذبائح الحيوانية، بل إن التطهير يكون بدم ربنا يسوع المسيح الثمين وغسل الماء بالكلمة الذي يجري بقوة الروح القدس. فبدلاً من وضع الأيدي على القرابين التي طالما كانت تكرر، صار ممكناً للمؤمن الآن أن يقول كلمات هذه الترنيمة المعروفة:

"إيماني سيضع يده

على ذاك الرأس المبارك؛

في حين أقف تائباً نادماً،

وأُقر بخطيئتي هناك.

تنظر روحي إلى الوراء،

فأرى الوزرَ الذي احتملْتَه،

عندما عُلِّقْتَ على الصليب هناك ملعوناً،

وأدرك إثمي الذي كان هناك".

فلدينا اليوم إذاً الإعلان المبارك للحقيقة التي تفيد بأن هناك قيامتين؛ ليس كما قال البعض بقيامة عامة للأموات في اليوم الأخير، بل قيامة من بين الأموات عند مجيء ربنا يسوع المسيح لأجل كل خاصته. وبالنسبة للدينونة كما نعرف الآن، أو كما ينبغي أن نعرف على الأقل، فإن المؤمن سوف لن يخضع لدينونة لأنه اجتاز الموت إلى الحياة. وإذاً، لهذا الكشف الكامل لحقيقة العهد الجديد دُعي المؤمنون العبرانيون لكي "يتابعوا". هذه هي المسيحية، والمسيحية يُشار إليها هنا على أنها "الكمال"، مميزين إياها عن الوحي الناقص أو الجزئي في الأيام الماضية.

يوضح هذا، إذاً، الطريق أكثر إلى فهم المقطع المربك المحير في الآيات٤ إلى ٨. كان هناك العديد من العبرانيين الذين كانوا في البداية قد اعترفوا بإقرارهم بمسيانية يسوع وكانوا شهود عيان للأمور العجيبة التي حدثت في العنصرة وما تلاها. ولكن بما أن الرب لم يكن قد عاد بعد والملكوت الموعود لم يكن قد تأسس في

الحال، فمن هنا يمكننا أن نفهم بسهولة كيف أن الكثيرين من هؤلاء والذين كان يعـوزهم الإيمـان الشخصـي بالمسيح كمخلص، سوف يتخلون في نهاية المطاف عن الإقرار المسياني ويعودون إلى اليهودية التي عرفوا فيها ديانة موحىً بها من الله. لقد كان هذا أمراً خطيراً، ومع ذلك كان شيئاً لا بد لجميع هؤلاء العبرانيين أن يتعرضوا له إن لم يضعوا حداً فاصلاً وقطيعةً بينهم وبين اليهودية ويتابعوا المسيرة إلى كمال المسيحية. بالنسبة لهؤلاء الذين ارتدوا، كان الأوان قد فات لمساعدتهم. لقد اتخذوا خيارهم وسلكوا بحسب ذلك؛ وإذ اختبروا الكثير مما هو جديد ورائع ثم ارتدوا عنه كله، فإنهم سيكونون الشعب ذي القلب الأقسى على وجه الأرض لدرجة يصعب معها أن يتغيروا من جديد. يقول لنا بولس هنا أنه من غير الممكن أن يتجدد ثانية إلى التوبة أولئك الذين استناروا مرة. من المهم أن نلاحظ أن كلمة "يتجدد" لا تعني تجدداً أو تبدلاً، كما يشير ج. ن. داربي، بل تعني القيام بما هو جديد كلياً. وهذا لا يمكن أن ينطبق أبداً على أولئك الذين تخلوا عن إقرارهم المسيحي. إن القول بأنه ليس من أمـل ممكـن باستعادة هكذا أشخاص ليس قولاً قاطعاً نهائياً، ولكنه إعلان بأنه لا يمكن أبداً أن يأتوا الآن إلى كل البركة التي في المسيحية وكأنها أمر جديد. لقد جربوا ذلك لتوهم، وتخلوا عن ذلك عن عمد. هذا الأمر يبقى متروكاً لله، أمـا أولئك الذين ثمّنوا فعلاً الحقيقة فهم مدعوون للتقدم إلى الأمام نحو معرفة أكمل وأفضل.

يعترض البعض على فكرة أنه ما كان ليمكن لأي شخص ابتعد إلى ذلك الحد أن يتجدد ثانيةً، ولكـن الآية ٩ تؤكد على هذه الحالة. لاحظ الأمور الخمسة التي تُقال عن أولئك الذين ارتدوا:

١- استناروا مرة بالإعلانات التي تخص يسوع المسيا.

٢- تذوقوا عذوبة وحلاوة العطية السماوية، ولكن هذا لا يعني بحد ذاته أنهم تناولوا من خبز الحياة.

٣- لقد جُعلوا شركاء روح قدس. إن "ال التعريف" قد حُذفت عن عمد في النص الأصلي. فليس الروح القدس كأقنوم إلهي هو من سكن فيهم، بل شاركوا في البركة التي أعطاها الروح القدس.

٤- تذوقوا النبأ السار لله، إذ أصغوا إلى بشرى الإنجيل الحسنة وقدروا إلى حد ما الرسالة التي جاء بها.

٥- لقد كانوا شهود عيان لأعمال قوة الدهر الآتي، مثلهم مثل كل من عاين المعجزات الكبيرة التي قام بها ربنـا وتلاميذه.

والآن وإذ نتأمل في كل من هذه البنود على حدة، سيتضح لنا، على ما أعتقد، بشكل جلي واضح أن كل شيء يصبح صحيحاً فيما يخص الأشخاص الذين لم يختبروا أبداً نعمة التجديد بروح الله.

كل من يصغي إلى رسالة التدبير الجديد يستنير بها، لأن "الظُّلْمَةَ قَدْ مَضَتْ، وَالنُّورَ الْحَقِيقِيَّ الآنَ يُضِيءُ" (١ يوحنا ٢: ٨)، والنور يضيء كل من يأتون تحت تأثيره العظيم. ولكن من المؤسف له أن الناس يرفضون النور، وبتنحيهم عنه يعودون إلى الظلمة. ما أكثرهم أولئك الذين تحركوا بعمق في قلوبهم عندما سمعوا بالعطية السماوية التي هي ابن الله ومع ذلك فإنهم، مثل المرأة السامرية، قد أدانوا أنفسهم في حضرة الرب وتناولوا حقاً هذا الطعام المقدس. أن نكون "شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" هو أمرٌ مختلف تماماً عن أن نُولَدَ بالروح القدس، أو أن نُختم بـالروح

القدس، أو أن نكون مختومين بالروح القدس، أو أن نكون سُكنى الروح القدس، أو ممسوحين بالروح القدس، أو معتمدين بالروح القدس إلى جسد المسيح، أو ممتلئين بالروح القدس. إنه ببساطة أن نصير مدركين للقوة الجبارة للروح القدس التي تعمل في قلوب وعقول الناس فتأتيهم بإيمان راسخ وتستميل القلب نحو المسيح. لعل المرء يرتجف رعدة إزاء هكذا قوة فائقة للطبيعة ومع ذلك يشيح بوجهه عن رسالة الروح القدس التي كانت لتأتيه بالحياة والسلام إن آمن بها حقاً. كثيرون أيضاً ممن أصغوا بشغف إلى الإنجيل، النبأ السار لله، وقدروا إلى حد ما قيمة الرسالة، أخفقوا في تناول الكلمة. يسوع لم يَقُلْ: "مَنْ يَأْكُلْ مني يَحْيَا بي"، بل قال: "مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يوحنا ٦: ٥٧). إنه فعل إيمان محدد يصبح عادة في الحياة. فمن المهم إذاً أن نلاحظ أن القوى في الدهر الآتي (وليس العالم الآتي وحسب) هي الأعمال التي ستميز عودة ربنا والملكوت الألفي. بمعنى آخر، هي المعجزات التي أُعطيت لليهود كعلامة أو آية ليتثبتوا من صحة خدمة ربنا وتلاميذه. نقرأ في يوحنا عن كثيرين آمنوا به عندما رأوا الآيات التي صنعها، ومع ذلك رجعوا وما عادوا يسيرون معه. فيبدو واضحاً إذاً أن هؤلاء الرسل كانوا أشخاصاً لديهم معرفة خارجية بالمسيحية ولكنهم لم يعرفوا أبداً معنى اقتبال الرب يسوع مخلصاً شخصياً لهم. رغم أنهم متيقنون بأعمال قوته، إلا أنهم لا يزالون منصرفين عنه، وبذلك إنما يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ. وهذا الحال ينطبق على كل من رجع عن المسيحية إلى اليهودية.

في الآيتين اللتين تأتيان بعد ذلك يستخدم الرسول مثلاً ليوضح ما في فكره. إنه يصف قطعتين من الأرض؛ كلتاهما قد حُرثتا بنفس الطريقة؛ كلتاهما تدفأتا بنفس الشمس؛ وكلتاهما شربتا حتى الإشباع من نفس المطر؛ ولكنّ واحدةً أَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ، ومن هنا تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ اللهِ. وأما الأخرى، فلم تُخرج سوى ثمار اللعنة، شَوْكاً وَحَسَكاً، ولذلك فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ، الَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ. ما الفرق بين قطعتي الأرض هاتين؟ في الحالة الأولى لديك تربة خصبة فيها سقطت البذرة الجيدة. وفي الأخرى، هناك تربة قاحلة والبذرة الجيدة لم تثمر فيها. الدرس واضح إذاً. هنا لدينا يهوديان، تربيا معاً جنباً إلى جنب. كلاهما كان مهتماً بناموس موسى وتعاليم الأنبياء. وكلاهما كان يعلل النفس بالرجاء المسياني. كلاهما كان قد أصغى إلى الكرازة من خدام مخلصين للمسيح. كلاهما صارا مهتمين بشدة بالإنجيل. كلاهما كانا مذهولين لرؤية الآيات القديرة التي تلت إعلان الرسالة الجديدة. كلاهما أقر بالمسيحية. وكلاهما اعتمد وأخذ مكانته في الجماعة المسيحية. أحدهما يحمل ثمر الروح القدس في حياته ويصبح تابعاً مخلصاً للمخلص. والآخر لا يُظهر أي دليل على الحياة الجديدة على الإطلاق، وينكر المسيحية في نهاية المطاف ويعود إلى اليهودية. إنه لم يقع تحت اللعنة بعد، لعله برحمة الله يدرك في النهاية فظاعة خطيئته، مع أن هذا الاحتمال ضعيف. لقد اتخذ خياره، ولذلك فهو على وشك الوقوع تحت اللعنة. فما الفرق الآن بين هذين الرجلين؟ الأول تحول إلى الله في توبة صادقة، وبذرة الإنجيل غير القابلة للفساد وقعت في التربة الممهدة لقلب صادق مستقيم. والآخر أصبح على معرفة فكرية بالمسيحية ومهتماً بها، ولكن البذرة الجيدة وقعت على قلب عاصٍ غير تائب ولم تنتج ثمراً.

من الواضح أننا لم نخطئ في فهم النص من هذا المنظار، وهذا ما يؤكده القول في الآية ٩. إذ يقول الرسول بولس: "وَلَكِنَّنَا قَدْ تَيَقَّنَّا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ أُمُوراً أَفْضَلَ، وَمُخْتَصَّةً بِالْخَلاَصِ، وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هَكَذَا". لقد كانوا في حاجة إلى حث وتحريض على الاستمرار والمتابعة، ولكنه كان متأكداً بأن من يوجه إليهم

كلامه كانوا أناساً مخلَّصين حقاً. فإن رأى فيهم أموراً أفضل مما أُشير إليه في الآيات ٤ و٥، فمن الواضح أن المرء لديه خبرة الامتيازات التي أُعلن عنها وليس الخلاص.

الدليل على صدقهم وحقيقيتهم تبدت في خدمتهم المخلصة ومحبتهم نحو إخوهم القديسين التي قادهم إلى الخدمة التي تميزت بنكران الذات. هذه الروح السمحة اللبقة هي التي يرغب بأن يبدوها حتى النهاية بكل يقين الرجاء، دون أن يفسحوا مجالاً للكسل أو التواني، بل أن يتمثلوا بأولئك الذين في عاشوا في الأزمنة الماضية، الذين صاروا ورثة للموعد من خلال إيمانهم وصبرهم وطول أناهم. يضرب بولس لهم مثلاً من خلال إبراهيم أباهم، ذاك الذي أَقْسَمَ الله بِنَفْسِهِ له، قائلاً: "«إِنِّي لَأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأُكَثِّرَنَّكَ تَكْثِيراً»"، والذي لم يتحقق الوعد له إلا بعد انتظار طويل. كلمة الله وقسمه كانا كل ما لدى إبراهيم لسنوات عديدة، ولكنه تمسّك بالإيمان لأنه كان يعرف أن الله لا يمكن أن يخلف بوعده. ومن هنا فإن لنا نحن أيضاً أن نتشجع لنضع ثقة كبيرة بالله– نحن الذين، مثل قاتل الرجل في العهد القديم، قد هربنا طالبين اللجوء إلى الرجاء الموضوع أمامنا؛ أي الرجاء بخلاص نهائي وأبدي بربنا يسوع المسيح. هذا الرجاء هو بالنسبة لنا مرساة النفس، فليس الاتكال على السفينة، أي على أمزجتنا وخبراتنا، ولا على الرمال المتحركة للأنظمة البشرية للفكر؛ بل تستند إلى الاسترضاء، كرسي الرحمة، داخل الحجاب. هذه المرساة قد ألقى بها يسوع سابقنا. ولذلك ورغم أن أمواج بحر الزمن تتلاطمنا، فإن "مِرْسَاة النَّفْسِ مُؤْتَمَنَة وَثَابِتَة، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ". قال البعض أن "اَلسَابِق" هو كلمة يستعملها البحّارة للإشارة إلى قارب صغير. إن مداخل العديد من الموانئ اليونانية كانت غير سالكة عندما يكون المد منخفضاً بالنسبة للسفن ذات أحمال السمك الثقيلة بسبب الحواجز والعوائق الرملية، ولذلك فقد كان يحدث عادةً أن يضعوا المرساة في السابق، وبتجذيفهم فوق الحاجز يضعونها في المرفأ، وهكذا يضمنون استقرار السفينة بأمان إلى أن يرتفع المد من جديد. تُستخدم هذه الصورة هنا للإشارة إلى العلاقة بين النفس والرب يسوع الذي صعد إلى السماء، وهو رئيس الكهنة على رتبة ملكي صادق. فقد دخل إلى حضرة الله ممثلاً عنا، وحضوره هناك هو عربون عهد علينا أن نتبعه في الحال.

القسم ج. أصحاح ٧

كهنوت ملكي صادق الذي يفوق كهنوت هارون

رأينا في الأصحاح ٥: ٥– ١٠ كيف بدأ الرسول بولس الحديث عن الكهنوت الملكي صادقي للمسيح. ولكن من الأصحاح ٥: ١١ إلى الأصحاح ٦: ٢٠ ينبري إلى كلمةٍ معترضةٍ مطولَّةٍ فيستطرد لكي يُعِدّ قراءه لفهم أفضل لهذا الموضوع الهام. في الأصحاح الذي بين أيدينا الآن يناقش الموضوع بشكل كامل. في الآيات الثلاث الأولى يسهب في الحديث عن ملكي صادق نفسه، ويقدم عرضياً مفتاحاً هاماً رائعاً لتفسير الرموز التي توجد في العهد القديم وأيضاً تأكيداً لافتاً على عقيدة الوحي الشفهي.

ليس من سبب يجعلنا نعتقد أن ملكي صادق بحد ذاته هو شخص غامض، أو أنه شخص فائق الطبيعة، أو حتى– كما يعتقد البعض– ظهورٌ سابقٌ للتجسد لربنا يسوع المسيح. إن سأل أحدهم: "من هو ملكي صادق؟" فالجواب الوحيد الصحيح هو "ملكي صادق". لم يكن سام ابن نوح، ولم يكن أيوب الذي من أرض عوص، ولا شيوب باني الهرم الكبير، كما حاول البعض أن يبرهن. لقد كان، كما هو واضح بقول صريح جلي، ملكي

صادق، ملك ساليم. كل ما نعرفه عنه هو من خلال ما ورد في سفر التكوين، الأصحاح ١٤: ١٨– ٢٠. هذا السرد أو القصّ التاريخي يصوره ككَاهِن اللهِ الْعَلِيِّ، مَلِكَ سَالِيمَ، المدينة التي عرفت فيما بعد باسم أورشليم. قبل تأسيس النظام اللاوي بفترة طويلة تكرست عائلة معينة لأجل الكهنوت وكان ملكي صادق مثل أيوب وإبراهيم قد قدم قرابين ككاهن لله العلي. وبعناية إلهية التقى بإبراهيم وجماعته المنتصرة وهم عائدون بعد هزيمتهم لـكَدَرْلَعَوْمَرَ وحلفائه. اللافت للانتباه أن ملك سدوم كان في طريقه إلى لقاء إبراهيم عندما اعترضه الآخر الذي هو ملكي صادق، ذاك الذي جاء ليباركه باسم الله العلي والذي اعترف إبراهيم بسلطته الروحية عليه بأن أعطاه عُشراً من رأس الغنائم. مؤيداً بالخبز والخمر التي كان الكاهن الملك في ساليم يقوم على خدمتها،كان إبراهيم مستعداً لرفض المداهنات من ملك سدوم، الذي يمثل العالم بكل نجاسته وخسته.

في المزمور ١١٠ يوجه ربنا نبوياً الخطاب إليه ككاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. كان من المفترض أن يبزغ من أورشليم الجديدة بعد معركة هَرْمَجَدُّونَ ككاهنٍ ملكيٍّ ليبارك شعبه المعتق في يوم قوته ذاك.

والآن لاحظوا كيف أن روح الله يضع على نحو لافت ختمه على الوحي الشفهي في العهد القديم. نجد الحديث هنا يلفت انتباهنا إلى حقيقة أن الكاهن الأكبر الملكي هو ملك البر كما يرد في الترجمة بترتيب أولي، وبعد ذلك أيضاً ملك ساليم، أي، ملك السلام. لو كان ترتيب الأسماء قد قُلب، فإن رمز الله الجميل سيتشوه، ولكن بورودها على النحو الذي جاءت فيه، فإن اسمي ملكي صادق وساليم هي في توافق وتناغم كامل مع الحقيقة التي تكشَّفوا في عدة أماكن. يجب أن يأتي البر قبل السلام. نعلم من أشعياء ٣٢: ١٧: "يَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَماً وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُوناً وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ". وهكذا في الرسالة العظيمة المرسلة إلى أهل رومية نعلم أولاً كيف أن بر الله قد حُفظ في الصليب قبل أن تخبرنا الرسالة بالسلام مع الله الذي هو لنا بالإيمان. إن الكتاب المقدس دقيق جداً من ناحية تغيير أو تبديل ترتيب الكلمات الأصلية بحيث أن أي تعديل يحدث فيه سيؤدي إلى تشويشٍ.

الآية ٣ أربكت وحيّرت كثيرين، ولكنها تعلن ببساطة فيما يخص الكتاب المقدس أن ملكي صادق يُظهر في هذه الصفحة المقدسة "بِلاَ أَبٍ بِلاَ أُمٍّ بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. هَذَا يَبْقَى كَاهِناً إِلَى الأَبَدِ". أي في سفر التكوين الذي نجد فيه سلالات نسب كثيرة، ومع ذلك فإن هذا الرجل ورغم أهميته، لا نجد له أية سلسلة نسب. ليس من تسجيل عن أبوته، أو ولادته أو موته. إنه يظهر ببساطة لوهلة، ثم يتلاشى من أمام ناظرينا، ولا يعود يُذكر أبداً من جديد في كلمة الله إلى أن ترد النبوءة في المزمور ١١٠. ولذلك فهو من المحتمل أن يكون رمزاً لمخلصنا الذي يحيا للأبد ورئيس كهنتنا. ومن جديد دعونا نتعبد لله ونحن نتأمل بكمال الكتاب المقدس؛ فما لا يورده هو كامل كما الحال مع ما يكشفه.

في الآيات ٤: ١٠ لدينا تفوق وسمو كهنوت ملكي صادق على ذاك الذي للاوي وهذا الأمر يظهر هنا بشكل واضح جلي للغاية. كان لاوي قد وُلد بعد سنوات طويلة من هذا الحادث المذكور في التكوين ١٤. لقد كان إبراهيم، على كل حال، أبو كل النسل العبري، ولذلك فقد كان أبو كل الأسباط الاثني عشر، بما فيها بالطبع سبط لاوي الذي منه جاءت العائلة الكهنوتية، والتي تمثلت فيه عندما اعترف بأعلوية ملكي صادق وذلك بدفعه العُشر له وتلقيه بركته الكهنوتية. مما لا شك فيه، وعلى حد قول الرسول بولس، "الأَصْغَرُ يُبَارِكُ من

الأَكْبَرِ" وهكذا بهذه الطريقة المزدوجة يتم التأكيد على العظمة الفائقة لهذا الكاهن الملكي ونعلم "أنَّ لاَوِي أَيْضاً الآخِذَ الأَعْشَارَ قَدْ عُشِّرَ بِإبراهيم". كما كل الجنس البشري قد كان قيد التجربة في آدم، ولذلك فإن الكهنوت اللاوي كان ممثلاً في البطريرك (الأب) إبراهيم عندما أقرَّ بتفوق ملكي صادق وذلك تبدَّى في موقفه منه.

إن الأساس قد صار واضحاً الآن والذي عليه يمكن أن نرى كيف أن الكهنوت الملكيِّ صادقيّ لربنا يسوع المسيح قد تجاوز من كل النواحي الكهنوت الهاروني. من الواضح أنه لو أن الكمالَ كان ليأتي تحت الكهنوت اللاوي، بما يخص الناموس المعطى، فسوف لن تكون هناك فرصةٌ أمام الله لتنحيته جانباً وإقامته كاهناً آخر على رتبةٍ أخرى أفضل. إن كهنوت ربنا، بالطبع، كان على رتبةِ شخصِ هارون؛ أي، شخصهُ وعمله كانا رمزاً لرئيس الكهنة وخدمته فيما يخصُ خيمة الاجتماع. ولكنه لا ينتمي إلى ذلك النظام، إنه كما الحال مع ملكي صادق ملك وكاهن بأمر إلهي، وليس بخلافة بشرية. هذا يدل ضمناً على تنحيةٍ كاملةٍ للعهد القديم، "لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضاً". لقد كان إسرائيل يقوم ويسقط بالكهنوت. إن كان الله يقبل رئيس الكهنة في يوم الكفارةِ العظيم، على سبيل المثال، فهذا كان يعني قبولهُ للشعب. وإن كان رئيس الكهنة يُرفض فعندها يكون الشعب كله قد نُحِّيَ. ما من رئيس كهنةٍ كان ليمزقَ ثيابَهُ (لاويين ١٠: ٦). عندما قام قيافا في نوبةِ اهتياجه وسخطه بشقِّ ثيابه، فإن الكهنوت انتقل من عائلة هارون. وبه انتقل النظام التشريعي بأكمله الذي كان قد بَطُلَ بحلول التدبير العجيب المذهل لنعمةِ الله.

بحسب الناموس اللاوي، لم يكن لربنا الحق بالكهنوت على الإطلاق. وبحسب الجسد، طلع من سَبط يهوذا، وليس من سبط لاوي؛ ولكن هذا لا يؤثر سلباً على كهنوته بأي شكل من الأشكال لأنه نظام مختلف بالكلية. لقد سيمَ ليس بحسب قوانين تشريعية ناموسية بل بكل قوة القيامة، "بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ". ككاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، أتى بنظام جديد وأفضل من ذاك الذي كان من الناموس. ولذلك فإن الوصية التي كانت مُعتمَدة من قبل قد وُضعت جانباً. لقد كانت ضعيفة وغير نافعة من حيث أنها لم تستطع أن تنجز ما قُصد بها؛ أعني به أن تعطي الإنسان موقف بر أمام الله، نظراً لأن الجسد أو الفكر الجسداني الشهواني ليس خاضعاً لناموس الله، ولا يمكن أن يكون كذلك. ولذلك فقد كان من غير جدوى أن تكون أساساً للبركة. فهي لم تجعل أحداً كاملاً؛ ومن هنا كان يجب أن تُفسح المجال لإدخال رجاء أفضل ندنو به من الله. هذا الرجاء الأفضل مؤسس على مبدأ النعمةِ التي كان ملكي صادق يشكّل تمثيلاً لها. وهكذا بالقسم الإلهي صار يسوع يقين عهدٍ أفضل.

في الآيات ٢٣ إلى ٢٨ نجد التناقض والتضاد بين الكهنة الآيلين إلى الزوال ورئيس الكهنة الحي أبداً على يمين الله. لقد كان هناك تتابع متواصل للكهنة في الأيام الخوالي، لأن الموت كان ينال منهم على الدوام. ولكن كهنوت ربنا لا يتبدل ولا يتغير لأنه يستمر "إلى الدهور"، وهذا هو التعبير الأقوى في اللغة اليونانية الذي يرادف الأبدية.

ولذلك فلكونه الكاهن الذي يحيا إلى الأبد، هو قادر على أن يُعتِق كلياً أولئك الذين يدنون من الله به، إذ أنه يحيا أبداً صانعاً شفاعةً لأجلهم. لا بد من أن نلاحظ أن الخلاص حتى الحد الأقصى هنا لا يعني ببساطةٍ خلاصاً من كل نوع من الخطيئة، بل حتى أنه أعظم من ذلك– إنه خلاصٌ إلى الأبد. إن من يخلصه الله يخلص إلى

الأبد، لأن من مات عنه يحيا ليحفظه وليكمل العمل الذي كان قد بدأه. وهكذا فإن أرواحنا تتحرك فينا دافعةً إيانا إلى العبادة والشكران إذ ندرك كم كان رئيس كهنتنا العظيم مؤهلاً لسد حاجات أولئك الذين كانوا آثمين فيما مضى وأشرار ونجسين وخطأةً ومنحطّين؛ إذ أنه يمثلنا تمثيلاً كاملاً أمام عرش الله. إنه يمثّل كل ما لم نكن عليه وما يجب أن نكون عليه. إنه قدوسٌ، مسالم، طاهر، ومنفصلٌ عن الخطأة وأعلى من السموات، وهو هكذا كله من أجلنا. وما كان هناك حاجة، كما لدى رئيس الكهنة في القديم، لأن يقدم قرابين يومياً. لقد كان أولئك الكهنة يقدمون تقدمات عن خطاياهم، لأنهم كانوا نجسين بأنفسهم، ثم كانوا يقدمون قرابين وتقدمات عن الشعب. ولكن هذه القرابين لم تسوي مسألة الخطيئة. فهو، وبذبيحته الوحيدة التي قربها على الصليب، ألا وهي ذاته، قد أكمل العمل الذي يخلّص، وسوّى موضوع الخطيئة إلى الأبد. لقد كان الناموس يعيّن أناساً كرؤساء كهنةٍ ممن كانوا أنفسهم عاجزين ضعفاء ولا يمكن الاعتماد عليهم، ولكن القسم الإلهي قد أعلن يسوع على أنه كاهن إلى الأبد، ذاك الذي في سرِّ شخصه، هو ابن الآب الأبدي السرمدي.

ما الذي كان يمكن لروح قدس الله نفسه أن يقوله ليوضح أعلوية وتفوق كهنوت التدبير الجديد على ذاك القديم؟ ومع الكهنوت بالطبع يرتبط نظام الأضاحي كله. لم يدرك أي يهودي أبداً السلام الداخلي أو الضمير الطاهر من خلال لجوئه إلى المذبح أو كاهن خيمة الاجتماع أو المعبد. ومما لا شك فيه، أينما كان هناك إيمانٌ حقيقي، كان الله يلتقي بشعبه في النعمة، وبالروح كان يعطيهم إحساساً داخلياً بالقبول والفرح الذي في نفسه، ولكن لم يكن هذا ليستند إلى النظام اللاوي. لقد كان كل ذلك من منظار نسل المرأة ذاك الذي سيأتي إلى العالم فيما بعد، ذاك الذي سيسحق رأس الحية والذي سيُجرَح نفسه عن آثام ومعاصي شعبه ويُسحق عن خطاياهم. لقد كان الإسرائيلي التقيّ يطيع وصية الناموس ويسلك بتوافق مع الكتاب الموسوي الطقسي لأن الله كان قد رسم ذلك في تلك الحقبة. إن الإيمان ليقودنا لأن نفعل بالضبط ما قاله الرب، ولكن أساس سلامه يقع، ليس على النظام الرمزي بل إنما على ذاك الذي صورّهُ ومثلّهُ، وعلى عمل يسوع المسيح المنجز. لقد كان من الصعب حتى على اليهود المهتدين (إلى المسيحية) أن يدركوا بشكل كامل ذلك، ومن هنا كانت العناية التي تناولت كل التفاصيل بإلهام الروح القدس للرسول بولس في محاولته أن يعتقهم من اليهودية ويخرج بهم إلى النور الكامل والحرية التي في المسيحية.

في ختام دراستنا لهذا الأصحاح، أود أن أشير إلى الفرق بين التعبير "قَدَّمَ نَفْسَهُ" المستخدم هنا وذاك الموجود في ٩: ١٤ "الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ". لقد "قَدَّمَ نَفْسَهُ" في معموديته في نهر الأردن، عندما حل عليه الروح القدس، مُظهراً مسرة الله الآب ورضاه عنه ومُشيراً إليه على أنه الذبيحة القربانية الكاملة الذي يستطيع وحده فقط أن يصنع براً عن الخطأة. إلا أنه على الصليب "قَدَّمَ نَفْسَهُ" عندما صار هو نفسه التقدمة العظيمة عن الخطية. من المهم أن نتذكر أن موت يسوع لم يكن مجرد تجاوب الإنسان مع نعمة الله كما تبدت في المسيح، ما كان شيء ليُميته لو لم يبذل حياته بملء اختياره وإرادته. فهو نفسه كان قد قال بصريح العبارة: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا (حياتي) مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي". بأكمل معنى، لقد وضع حياته طوعياً (بذل نفسه) عندما سمح للأشرار أن يُسَمِّروه على ذلك الصليب. فهناك أخذ مكان الخاطئ واحتمل دينونة الخاطئ. إننا نتحدث عن ذلك على أنه

العمل الذي أنجزه المسيح. ولكن عندما نفكر في كهنوته الرئاسي العظيم فإننا نكون على الطرف الآخر كلياً. ذاك عمله غير المنجز، العمل الذي سوف لن يكتمل طالما هناك أي من الذين افتداهم في موضع اختبار وفي حاجة إلى العون.

الجزء ٢. الأصحاح ٨

وسيط العهد الجديد

القسم أ. أصحاح ٨: ١- ٦

الكاهن الصاعد

لدينا الآن خلاصة للتعليم الذي تلقيناه لتونا فيما يتعلق بكهنوت ربنا المبارك. إننا نرى فيه رئيس كهنة بحقّه الطبيعي أخذ مكانة لم يكن لكاهن لاوي أبداً أن يتخذها. وبدلاً من مجرد السماح له بأن يدخل مرة في السنة إلى قدس الأقداس، وذلك لبضعة لحظات فقط، دون أن يجرأ على أن يجلس في حضرة الله، فإن ربنا المبارك يسوع المسيح، ألا وهو الإنسان الصاعد، قد دخل إلى الأقداس السماوية وهناك جلس على يمين عرش جلالته في السماء. وهناك يخدم في قدس الأقداس في خيمة الاجتماع الجيدة تلك التي لا تشكل الخيمة الأرضية سوى رمز لها.

كم من المهم لنا أن ندرك أننا نُمَثَّلُ أمام الله بإنسان في المجد، إذ رغم أننا ما عدنا نعرف المسيح بحسب الجسد، مع ذلك فقد صعد إلى السماء كإنسان ممثِّل عنا ليظهر في حضرة الله نيابة عنا.

لقد كان رئيس الكهنة الأرضي في القديم يعيّن ليقدم التقدمات والذبائح. نفهم من التقدمات تلك التقدمات التي كانت تعبيراً عن القلوب الممتنة المتعبدة عند شعب اسرائيل. وبالقرابين من جهة أخرى نفهم أنها تلك التي كان يجب أن تُقدم بشكل مباشر لتصنع كفارة عن الخطيئة. لقد صنع ربنا هذه الأخيرة عندما قدم نفسه ذبيحة على الصليب. أما الآن وهو يخدم في المقدس السماوي، فمن الضروري بالطبع أن يكون لديه شيءٌ ليقدمه. إنه يقدم صلواتنا أمام الله وتسابيحنا. إن عبادتنا التي من القلب تصعد إلى الآب به:

"رئيس كهنتنا العظيم يجلس

إلى يمين يد الله القدير؛

ويداه ترتفع من أجلنا،

في حنو وحب.

إلى كل صلواتنا وتسابيحنا،

يضيف المسيح عطره الحلو،

والمحبة تصعد بالبخور،

تلك الروائح التي تعبق بها السماء"

غالباً ما نحبط عندما نشعر ببعض النقائص حتى في أفضل محاولاتنا وأعظمها لكي نمجد الله. وعلى مثال كوبر، لعلنا يمكن أن نصرخ هاتفين:

"الخطيئة تلتف حول أفكاري،

وتتسلل إلى صلواتي".

ولكنها بركة أن نعرف أنه ما من شيء يصل إلى الله لا يكون كاملاً. إن رئيس كهنتنا العظيم يزيل من صلواتنا وتسابيحنا كل ما هو آثمٌ أو من الجسد، إنه يزيل كل ما هو ضدّ طبيعة الله الذي نعبده. وبعد ذلك وإلى ما تبقى، فإنه يضيف كمالاته اللا متناهية بحد ذاته وهكذا يقدم كل شيء إلى الآب من أجلنا.

إن كهنوته سماوي كلياً في مواصفاته، "فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى الأَرْضِ لَمَا كَانَ كَاهِناً، إِذْ يُوجَدُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ حَسَبَ النَّامُوسِ، الَّذِينَ يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا". لا يعني هذا أنه لم يسلك بصفة أو وظيفة كهنوتية بينما كان في هذا العالم. لقد فعل ذلك بالتأكيد. فككاهن، صلّى من أجل تلاميذه. وفي الأصحاح السابع عشر من يوحنا لدينا نموذج رائع عن شفاعته كرئيس كهنة عظيم. وككاهن أيضاً، قدم نفسه على الصليب كذبيحةٍ أسمى وأعظم وذلك بسبب الخطيئة (خطيئتنا)، كما في حالة تقدمة هارون للعجل والكبش في يوم الكفارة العظيم. ولكن الفكرة هي أن كهنوته كلياً كان سماوياً مقدساً في طبيعته. فهو لم يُورث على رتبة هارون. وإذ ننظر إلى الأمر من وجهة النظر تلك، فإنه لا يمكن أن يكون كاهناً على الإطلاق، إذ أنه لم ينتمي إلى سبط لاوي أو بيت هارون. إنه الإنسان الثاني (آدم الثاني)، الرب الذي من السماء، وكذا فهو رئيس كهنتنا العظيم، محققاً الرموز والظلال في السماويات، كما نرى، على سبيل المثال في سفر اللاويين. في الواقع إن كل شيءٍ مرتبط بخيمة الاجتماع وخدمته كان رمزاً للمسيح، صورة عن شخصه المجيد وعمله العجائبي المعجز. وهذا هو السبب الذي جعل الله دقيقاً جداً فيما يتعلق بكل تفاصيلها. "لقد حضَّ الله موسى"، كما نعلم أنْ "تُقِيمُ الْمَسْكَنَ كَرَسْمِهِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ". لم يكن هناك إمكانيةٌ لإبداعٍ بشري، أو لأفكار تأتي من موسى. كل شيء يجب أن يكون كما أمر الله به ورتبه لأنه هو وحده يعرف الابن والعمل الذي كان ليُنجزه.

أما الآن وقد حلّ نظام النعمة الحاضر محل الدهر التدبيري الرمزي، فإن المسيح قد دخل إلى أفضل شكل من خدمته، بداعي الحقيقة التي تتمثل في أنه وسيط لعهد أفضل كان قد تأسس على وعودٍ أفضل. لقد كان العهد القديم يعتمد على قدرة الإنسان على تنفيذ متطلباته. قال الله بقوة ونفوذ: "إن فعلتم هذا وذاك، فسوف أفعل أشياء معينة". وهكذا فإن وعد البركة كان يعتمد على قدرة الإنسان على أن يدعي لنفسه الحق بالبركة على أساس طاعته للناموس. وما من إنسان أبداً أمكنه أن ينال المواعيد على ذلك الأساس. وهكذا فقد أخذ ربنا يسوع على نفسه لعنة الناموس المنتهك، وجُعل لعنةً لأجلنا، وصار تقدمةً عظيمةً عن الخطيئة، والآن صار وسيط عهدٍ أفضل، به كل الوعود هي من طرف الله وأما الإنسان فيتلقى كل بركة كنعمةٍ نقيةٍ صافيةٍ.

القسم ب. أصحاح ٨: ٧- ١٣

عهد أعظم يحل محل القديم

لو كان ذلك العهد الأول كاملاً بلا عيب، لما كان سيُبطَل ويحل محله عهد جديد. ولكن بسبب النقص والعيب فيه بسبب ضعف وهشاشة الجسد، كان الله قد أعلن قبل زمن طويل من مجيء ربنا يسوع المسيح إلى العالم بأن عهداً جديداً سيُكمَل مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا. يقتبس الرسول بولس هنا (أو يستشهد) بآيات من إرميا٣١: ٣١- ٣٤: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلِينَ: [اعْرِفُوا الرَّبَّ] لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ". هذا العهد الجديد من الواضح أنه إعادة تأكيد على ذلك العهد غير المشروط الذي قطعه الله مع الرب إبراهيم، والذي لم يستطع الناموس الذي جاء بعده بقرون، أن يُبطله أو يلغيه. خلال كل السنوات الحاضرة من التجوال والتيه يقع اسرائيل ويهوذا تحت لعنة ذلك الناموس المنتهك. ولكن في التجدد، عندما سيجتمعون أمام الله ويستعيدون عطف الرب، عهد النعمة هذا سيصير لهم أيضاً.

إنه لأمر في غاية الأهمية أن ندرك أنه ليس من موضع في الكتاب المقدس نعلم فيه أن عهداً قد قطع مع الكنيسة. في رومية ٩: ٤ نعلم أن "المواعيد" هي للاسرائيلين. فهم كانوا الشعب الذي اختير ليقطع معهم الله العهد السينائي. بحسب بنود ذلك العهد خسروا كل ادعاء بحقهم بعطف الله عليهم. ولكنه لا يستطيع أن ينكر نفسه، لا يمكنه أبداً أن يتراجع عن العهد الذي قطعه مع إبراهيم، بتلك البنود التي وعد ببركة غير مشروطة لنسل إبراهيم. هذه الوعود يكررها في العهد الجديد. إن دم ذلك العهد قد أُريق على الصليب. لقد قال ربنا، وهو يعطي كأس الشركة لتلاميذه: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ". وعلى أساس ذلك الدم الثمين كل أولئك الذين يؤمنون به الآن والذين سفكوا دمه، يدخلون إلى البركات الروحية للعهد الجديد، رغم أن الأمميين بحسب الجسد، وبذلك بحسب الطبيعة، هم "غُرَبَاء عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ". ولكن في مَلء الزمان، عندما سيأتي يوم بركة اسرائيل، فإن العهد الجديد سيمنح لهم بشكل مؤكد وسيولدون لله- "شعبٌ سيُولد في يوم واحد"- وسيكونون له شعب العهد. نَوَامِيسه ستكون عندها فِي أَذْهَانِهِمْ، وَمكتوبة عَلَى قُلُوبِهِمْ. وسوف يقدمون له خدمة سارة سعيدة مرضية، ليس لكي يجعلوا أنفسهم مستحقين لبركة العهد، بل بسبب غبطة نفوسهم عندما سيعرفونه إلهاً لهم ويدركون أنهم بالفعل شعبه المفتدى. إن يوم العمى والجهالة عندهم سيزول إلى الأبد. وستزول الغشاوة عن قلوبهم. ولن يكونوا بعد في حاجة إلى تعاليم بشرية، إذ سيعرفون جميعهم الرب من صغيرهم إلى كبيرهم في ذلك اليوم العجيب عندما سيُظهر رحمته على آثامهم ولن يعود يذكر خطاياهم وتعدياتهم.

بينما هذا لا يصل إلى ملء قامة البركة المسيحية، مع ذلك فإنها ستكون نعمة رائعة بالفعل تتبدى للناس الذين أخفقوا إخفاقاً رهيباً عندما صلبوا رب المجد. لا يقول العهد الجديد شيئاً عن الدخول إلى الأقداس، كما

نعرف الآن؛ ولا يقول شيئاً عن إقامتنا معاً وجلوسنا معاً في المسيح يسوع في السماويات؛ ولا يذكر شيئاً عن اتحادنا به كأعضاء في جسده من جراء سُكنى الروح القدس. إنها بركة للأرض وعلى الأرض في اليوم العتيد أن يأتي. ولكن حقيقة أن كل هذه الامتيازات السماوية هي أكيدة للكنيسة الآن بفضل إهراق نفس الدم للعهد الذي سيكون من نصيب اسرائيل ببركة مستقبلية، تقود الرسول في الأصحاحات التي تلي ذلك إلى التأكيد على حقنا الشرعي الحالي بأن ندخل إلى الأقداس، بينما يبقى إسرائيل ويهوذا مشتتين بين الأمميين، منتظرين ذلك اليوم الذي سيصير العهد الجديد من نصيبهم أيضاً.

إن التعبير نفسه "عهد جديد" بحد ذاته يجعل العهد القديم السابق لاغياً باطلاً وعديم الجدوى. لقد أدى الخدمة المطلوبة منه وصولاً إلى الصليب. أما الآن فإن "مَا عَتَقَ وَشَاخَ قَرِيبٌ مِنَ الاِضْمِحْلاَلِ". إنه أمر مثير للشفقة أنه قلما يدرك كثيرٌ من المسيحيين ذلك ويفهمون كيف أن ذبيحة ربنا يسوع المسيح قد حررتنا من كل تعهد والتزام بذلك التدبير المؤقت. ويُخشى أن كثيرين ممن يترنمون أحياناً بتلك الحرية يخفقون حقاً بفهم معناها وفحواها.

"متحرّرين من الناموس! يا لها من فرحة!

فيسوع سَفَكَ دمَه، ومن هنا كانت المغفرة؛

ملعوناً من الناموس ومُجرّحاً من جراء السقوط،

افتدانا المسيح مرةً واحدة وللجميع".

إن الشعب الأرضي الدنيوي لا يزال غير قادر على فهم ذلك، وكثيرون ممن آمنوا بالمسيح بطريقة غامضة مبهمة وتجددوا بشكل لا شك فيه، لا يزالون بعيدين عن التمتع بالحرية التي لنا في المسيح. إن علاقتنا الحاضرة مع الله هي بنعمة خالصة خلال هذه الفترة الاعتراضية المؤقتة، والتي نحيّ فيها الله اسرائيل بحسب الجسد، مقيماً من بين الأممين شعباً لاسمه. بعد أن يكتمل هذا العمل سيبني من جديد خيمة اجتماع داود الساقطة وسيقيم عهداً جديداً مع أولئك الذين في بيت اسرائيل وبيت يهوذا الذين سيعودون إلى الرب في ذلك اليوم.

الأمر المهم الذي يجب أن نراه هو أن العهد الجديد، كما يتبدى لنا على هذا النحو، لا يذهب أبعد من البركة على الأرض. إن له علاقة بالجانب الأرضي من ملكوت الله، ألا وهو أن الدخول إلى تلك الولادة الجديدة هو شرط لازم أساسي، كما قال ربنا لنيقوديموس. هذا هو ما عناه القول أن الناموس سيُكتب على القلوب في ذلك اليوم الذي سيعود فيه بيت إسرائيل وبيت يهوذا إلى ذاك الذي كانوا قد رفضوه يوماً.

الجزء ٣. الأصحاحات ٩، ١٠

كما عمل المسيح

القسم أ. أصحاح ٩: ١- ١٠

المقدس الأرضي كرمز للمقدس السماوي

إذ ندخل الآن إلى لب هذا الجزء الثمين من كلمة الله، فإن الرسول بولس يلفت انتباهنا من البداية إلى الصفة الرمزية للمقدس والخدمة فيه تحت الدهر السابق. لا بد من أن نلاحظ أنه في كل مكان من هذا الجزء من الرسالة هناك المسكن أو خيمة الاجتماع أكثر منها الهيكل. وهذا ليس، كما افترض البعض، بسبب أن اهتمام الله ببناء الهيكل كان أقل منه في ترتيب خيمة الاجتماع. لقد أعلن داود بشكل واضح لسليمان، وهو يعطيه مخطط المقدس الأكثر ديمومة قائلاً: "«قَدْ أَفْهَمَنِي الرَّبُّ كُلَّ ذلِكَ بِالْكِتَابَةِ بِيَدِهِ عَلَيَّ، أَيْ كُلَّ أَشْغَالِ الْمِثَالِ»" (الأخبار الأول ٢٨: ١٩). ولكن رموز الهيكل كانت تشير مسبقاً بشكل واضح إلى المجد الألفي والبركة وسيتم الدخول إليه بشكل كامل ويُفهم في يوم قوة الرب ذاك. إن المسكن، من جهة أخرى، والذي كان مسكناً مؤقتاً، يرسم الحقيقة لشعب رُحَّلْ، يجد مطابقة له في الوقت الحاضر عندما يقود الروح القدس، الذي يُرمز إليه بعمود السحاب في القديم، جماعةَ العهد الجديد خلال برية هذا العالم، إلى الراحة التي تبقى لشعب الله.

بما أن العهد الأول كان لبرهة فقط، فهكذا كان الأمر مع المسكن الأول. لقد كان يشتمل على طقوس الخدمة الإلهية والمقدس الدنيوي الأرضي. وبكلمة "دنيوي" لا نفهم معنى "غير روحي"، بل هي تعني ما هو ضد السماوي.

لقد كان المسكن نفسه، كما نعرف جيداً، مقسماً إلى قسمين، الأول يدعى القدس، والثاني، قدس الأقداس، يفصله الحجاب المقدس. وكما يوضح الرسول بولس من خلال شرحه لمختلف أجزاء الأثاث المتعلق بكل جزء، فإن لدينا تصويراً آخر أشد إذهالاً للوحي الشفهي المطلق في الكتابات المقدسة؛ وهذا، بالنسبة للرأي الذي كان غير المؤمنين يتمسكون به بشدةٍ، مدّعين أنه كان يُظهر العكس تماماً، أي الخطأ الظاهر الفادح من جهة الكاتب الملهم.

عندما يتحدث عن القسم الأول من خيمة الاجتماع (المسكن الأول)، يقول: "كَانَ فِيهِ الْمَنَارَةُ، وَالْمَائِدَةُ، وَخُبْزُ التَّقْدِمَةِ". فلا يذكر أبداً المذبح الذهبي للبخور. فهل نسي أن هذا المذبح كان أمام الحجاب مباشرةً؟ أم أنه أغفل ذكر ذلك لسبب إلهي ما؟

يصبح الأمر كله واضحاً للغاية عندما نلاحظ الآيات الثلاث التالية: "وَوَرَاءَ الْحِجَابِ الثَّانِي الْمَسْكَنُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «قُدْسُ الأَقْدَاسِ» فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ. وَفَوْقَهُ كَرُوبَا الْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ الْغِطَاءَ. أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا

الآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ" (الآيات ٣– ٥). والآن لاحظ التبدل الذي يجري من "فيه" إلى التعبير المختلف كلياً أن "كان فيه". ثم لاحظ أن هذه المبخرة الذهبية ما هي إلا مذبح البخور الذهبي. إن الكلمة الأصلية التي تدل على مذبح البخور هي(*thumiasterion*). وهي مختلفة تماماً عن الكلمة المستخدمة في (رؤيا ٨: ٣، ٥) للدلالة على البخور. إنها "اللبان" ويمكن للقارئ أن يلاحظ بسهولة الفرق بين الكلمتين. فلا شك، إذاً، أن "البخور" هنا يعني "مذبح البخور". ولكن ما السبب الذي جعل الكاتب يتجاهل أن يقول هنا أن ذلك كان في "المقدس"؟ لماذا يربطها بشكل واضح بـ "قدس الأقداس"؟ إن الجواب على هذا السؤال هو في غاية البساطة. إنه ينتمي إلى "قدس الأقداس" لأنه كان يرمز إلى شخص المسيح وعمله الشفاعي في قدس الأقداس. ولكن خلال كل حقبة العهد القديم كان لا بد أن يقع خارج الحجاب حيث كان يمكن الدنو إليه من قبل الكهنة، ومع ذلك كان هذا الحجاب قريباً جداً وذلك من أجل أن تدخل رائحة البخور العطرة إلى قدس الأقداس في اللحظة التي انشق فيها هذا الحجاب إلى نصفين من الأعلى إلى الأسفل. لا يقول الرسول أنه كان في قدس الأقداس، بل يصرح بأنه كان يخص قدس الأقداس الذي كانت "فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ". ومن هنا إذاً فإن ما هو عيب أو نقص في الظاهر ما هو إلا أجمل دليل على كمال الكتاب المقدس.

طوال فترة العهد القديم كان لا يُسمح للكهنة بالدخول إلى قدس الأقداس. لقد كانوا يدخلون فقط إلى المسكن الأول ويقومون بالخدمة الليتورجية. ومرةً في السنة كان رئيس الكهنة وحده يُسمح له بأن يدخل إلى القسم الداخلي المقدس. حيث كانت الشكينه ترفرف فوق كرسي الرحمة. وما كان أيضاً ليستطيع أن يدنو بدون الدم الكفاريّ، الذي كان عليه أن يقدمه أولاً عن نفسه لكونه إنسان خاطئ، وأيضاً عن جهالات الشعب.

بهذا الترتيب، كان الروح القدس يعلن الحقيقة المهيبة الجديدة بأن الطريق إلى حضرة الله مباشرة ما كانت قد أُعلنت، وما كانت لتعرف، طالما أنه كانت هناك إقامة للمسكن الأول أمامهم. إن التعبير "مَا دَامَ الْمَسْكَنُ الأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ" مضلل. هذا سيوحي بأن الطريق إلى قدس الأقداس لم يُعرف إلى أن تمّ دمار الهيكل في حوالي العام ٧٠ م، وهذا ما فهمه كثيرون. ولكنه يعني بشكل واضح أن الطريق إلى قدس الأقداس لم تكن مفتوحة طالما كان هناك المسكن الأول أمام الله. في اللحظة التي مات فيها يسوع المسيح على الصليب ما عاد للنظام الرمزي بمجمله أي إقامة أو وجود أمام الله. لم يكن سوى رمزٍ لزمنٍ كان حاضراً آنذاك، والقرابين والذبائح المقدمة المتعلقة به كانت مجرد رمز لتقدمة ربنا يسوع المسيح لجسده نفسه على الصليب. هذه بحد ذاتها لم تكن لها قيمة حقيقية. لم تكن لتستطيع أن تسوي مسألة الخطيئة، ولذلك ما كانت لتُكمِّل ضمير أولئك الذين كانوا يخدمونها. إن الطقوس العديدة المتعلقة باللحوم والأشربة والغَسَلاَت الْمُخْتَلِفَة، سواء للأشخاص أو للأشياء، ما هي في الواقع سوى فَرَائِضَ جَسَدِيَّة كانت مرتبطة بالعهد الأول، وكان يُقصد بها فقط أن تخدم هدفاً محدداً مؤقتاً وتكون مَوْضُوعَةَ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ؛ أي إلى أن حققها المسيح جميعاً بموته وقيامته وأتى بالدهر التدبيري الحاضر الجديد والمجيد من نعمة الله.

القسم ب. أصحاح ٩: ١١- ٢٣

سمو ذبيحة المسيح على كل القرابين المقدمة بحسب العهد القديم

يشرع الرسول الآن بأن يُظهركم هي رائعة تلك التقدمة الروحية التي قدمها ربنا يسوع المسيح والـتي تفوق كل رموز وظل صور العهد القديم. إنه بآن معاً رئيس كهنة وأُضحية. كرَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْـرَاتِ الْعَتِيـدَةِ، والذي ترتبط خدمته بمسكن أعظم وأكمل، أي المسكن الأبدي لله، وبتقديمه لدمه، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ على أساس الفداء المتمم. وعمله يبقى إلى الأبد أمام الله. وما من إخفاق يقع فيه أي من الذين افتداهم يمكـن أن يؤثر على عظمة عمله الذي أتمّه. في العهد القديم كلما كان إسرائيلي يُخطئُ كان في حاجة إلى ذبيحة جديـدة؛ ولكن تقدمة المسيح الوحيدة الكاملة لنفسه قد سوَّت مسألة الخطيئة إلى الأبد، فما من تيه في القلب ولا إخفاق في الحياة من جهة أولئك الذين استفادوا بالإيمان من عمله التكفيري إذ ما من شيء يمكن أن يغير أو يبدل موقفه أو مكانته أمام عرش الله.

ما الذي يمكن أن يمس الصليب،

أو يمس السلام الذي أُعطيناه به؟

من يستطيع أن يدّعي أن المسيح لم يمتْ،

أو أنه دُفن في قبرٍ ولم يقُمْ"

بسبب القيمة اللا متناهية لدمه الثمين، فقد استوفى كل مطاليب العدالة الإلهية وهكذا ضمن فداءً أبدياً. وفي اللحظة التي سُفك دمه على الصليب أُقِرَّت كفايته وفعاليته في السماء، وهذه كانت استجابة لنضح الدم على كرسي الرحمة. ولكن لم يُرَ فقط مرشوشاً على عرش الله بل أيضاً على المؤمن الذي يُطهر بذلك من كل نجاسة.

تضع الآية ١٣ أمامنا بشكل حيوي طقس دَم العِجلة كما يرد في (سفر العدد ١٩). لقد كانت العجلة تُحرق إلى أن تصير رماداً، ويمزج الرماد مع الماء، وماء الفصل هذا كان يُرش على المنجسين من بـني اسـرائيل ليصيروا مؤهلين للمشاركة في الخدمة في المقدس الدنيوي الأرضي. وهكذا كان الرماد يصير تصريحاً بليغاً. إذ كان يصرخ بصوت عالٍ كما فعل المخلص وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: "«قَدْ أُكْمِلَ»". إذ أن الرماد يشير إلى أن النار التي احترقت ما عادت بحاجة لأن توقد من جديد. وهكذا يصبح للمؤمن المختصر مورد يومي لغسل الماء بالكلمة، فيستحضر إلى روحه حقيقة ذلك العمل المُكمَّل الذي تمت فيه تسوية كل خطيئة وذلك بموت يسوع على عـود الصليب. ومن هنا يرد قول القديس بولس أن: "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!" فذاك، الذي هو بلا خطيئة، قد قدّم نفسَه ليأخذ مكان الخاطئ، وذلك بقوة الروح الأزلي؛ وبسفكه لدمه تتنقّى ضمائرُنا مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ ونتحرر لنَخْدِمَ اللهَ الْحَيَّ. كان الاسرائيلي في العهد القديم الذي كان يتنجس باحتكاكه بالأموات، يلتجئ إلى ماء الفصـل. ولكـن كـل جهودنا ومحاولاتنا قد تنجست بحقيقة أننا أنفسنا في حالة عدم خلاص وكنا أمواتاً في التعديات والخطايـا. والآن وقد سُوِّيت أمور الماضي جميعاً، فإن لنا الحرية أن نخدم الله الحي بالإيمان وبقوة حياة جديدة.

ولذلك فإن المسيح هو وسيط العهد الجديد، القائم على أساس موته ذاته، الذي بـه سـوَّى مسـألة التعديات عن كل الذين تحولوا إلى الله بالإيمان خلال فترة العهد الأول، لكي يَنَالُوا، معنا، وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ. وهذا هو، بالتأكيد، معنى العبارة: "فِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ". إن خطايا القديسين في العهد القـديم لم تُغفر فعلياً إلى أن أتم المسيح الفداء على الصليب. فعندها نال هؤلاء كل البركة التي في العهد الجديد الذي ختمه بدمه نفسه.

كان هناك الكثير من الجدل حول إذا ما كان التغيير من الوعد إلى العهد، بمعنى الوصـية، قـد كـان مقصوداً في الآيات التي تلت. ولكن الكلمتين مرتبطتان على نحو وثيق حتى يبدو أنه ما من سبب يجعل فهم هذه الحقيقة الحاضرة أمراً صعباً. إن العهد القديم كان وصية الله لشعبه قبل مجيء المسيح وقد خُتم بدم ثيران وتيوسٍ، الذي رَشَّه موسى على الْكِتَاب وعلى جَمِيع الشَّعْب، قَائِلاً: "«هَذَا هُوَ دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي أَوْصَـاكُمُ اللهُ بِـهِ»". إن العهد الجديد هو وصية ربنا المبارك التي بها رسم أن كل من يؤمنون به ينالون قسطاً من ذلك الميراث الأبدي الذي يتشارك به مع كل المؤمنين بسرور. بموته صارت هذه الوصية نافذة المفعول. لولا موته، ما كانت هناك بركة على هذا النحو للخطأة الآثمين. إن الوصية تكون فعالة بعد موت الإنسان الذي يضعها. إن موت المسيح على الصليب يضع هذا العهد الجديد أو الوصية قيد التنفيذ، وبما أنها عهد نعمة صافية نقية، فإن كل مؤمن يدخل ينتفع منـها حتى قبل اليوم الذي تصبح هذه البركة متاحة علانية لبيت اسرائيل ويهوذا، كما رأينا في الأصحاح السـابق. إن دم العهد وقد سُفك للتو يلغي أي عائق أمام تدفق النعمة والبركة. إن رش الدم بحسب الوقت القديم قد صادق على ذلك العهد، وكان تحذيراً للشعب من أن الموت سينشأ عن انتهاك ذلك العهد؛ بينما في نفس الوقت كـان يرمز إلى سفك دم أضحية العهد الجديد (المسيح)، ولذلك يُقال لنا هنا أن موسى رش بالدم الْمَسْكَنَ وَجَمِيعَ آنِيَةِ الْخِدْمَةِ، "وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيباً يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ". إن هذا التصريح الأخير أمرٌ مطلقٌ ثابتٌ لا ريب فيه، وهذا ما توضحه الآيات التي تليه. كان من الضروري في مخطط الله أن تكون رموز وصور الأشياء التي في السماوات مطهّرةً بدم الذبائح الحيوانية، وأما الحقائق فبأشياء أفضل من تلك التي في القديم. كانت الأشياء السماوية في حاجة إلى تطهير لأن الخطيئة بدأت في السماوات. فهناك سـقط الشـيطان، ولذلك فقد أمست السماوات غير نقية. إن ذبيحة المسيح هي أساس التطهير للسماوات الملوثة وهي تضمن سماء جديدة وأرضاً جديدة يقيم فيها البر. وهكذا في نهاية المطاف، كل ما في السماء وما على الأرض سيتصالح مع الله بدم الصليب.

ليس هذا، بالطبع، عقيدة خلاصية (أي قول بخلاص الجميع) إنه لا يشير إلى أن الخلاص هو لجميع الذين عاشوا على الأرض، وبالتأكيد ليس للملائكة الساقطة الذين دنسوا السماوات. بل هنا الحديث عن وقت يـأتي تُطرد فيه الخطيئة والخطاة من الأرض والسماوات ويصبح الله هو الكل بالكل.

القسم ج. أصحاح ٩: ٢٤- ١٠: ٢٢

المدخل إلى الأقداس بدم يسوع. دخوله هو ضمان لدخولنا.

ها قد وُضعت الأرضية التي تُمكن الرسول بولس من أن يكشف لنا الحقيقة الخاصة بالحقبة الجديـــدة، وليرينا كيف أبطل المسيحُ على نحو كامل كلَّ رموز العهد القديم. في الآيات ٢٤ إلى ٢٨ من هـــذا الأصـــحاح التاسع لدينا ما أسماه أحدهم على نحو ملائم جداً بأنه "الظهورات الثلاثة لربنا يسوع المسيح": فقد ظهر، ويظهر، وسيظهر. إن الترتيب، على كل حال، مختلف نوعاً ما، لأن الروح القدس يسكن أولاً في ظهوره الأول كوسيط في الأعالي، ثم يلفت انتباهنا إلى الوقت الذي ظهر فيه ليُسوي مسألة الخطيئة، وفي الآيات الختامية يحملنا إلى تلك الساعة السارة عندما سيظهر في الدهر الثاني الآتي لأجل فدائنا الكامل والمجيد.

في الآية ٢٤، إذاً، ننظر بالإيمان إلى المسكن الحقيقي الذي هو في الأعالي، قدس أقداس ليس مصـــنوعاً بأيدٍ، وهناك نرى ربنا المبارك القائم من بين الأموات وقد ظهر أمام وجه الله لأجلنا. إنه هناك ليمثلنا تمثيلاً كاملاً أمام عرش الله ونكون مقبولين فيه. إنه هناك أيضا ليصنع شفاعة لأجلنا نظراً لهشاشة وميل البشر إلى الإثم. وكما يرينا الرسول يوحنا، فإنه هناك كمحامٍ لدى الآب، ليدافع عنا وقد حل الإخفاق وحطم الشركة. كم هي كاملة ومكتملة خدمته الحاضرة التي يقوم فيها بمهمته لأجلنا في الأقداس! كم نتكلم في معظم الأحيان، ونحـــن محقـــين بذلك، عن العمل المتمم للمسيح. هذا يشير بالطبع إلى كفَّارته البدليَّة المنجزة التي حدثت على الصليب. ولكنـــه يتوافق مع الكتاب المقدس عندما نتحدث عن عمله المنجز، أن يكون في ذهننا هذه الخدمة الخاصة من الشـــفاعة التي يقوم بها في قدس الأقداس منذ ذلك الحين الذي صعد فيه بمجد إلى السماء، والتي سوف لن تنتهي أبداً طالما كان هناك أي قديسٍ محتاج في موضع امتحان هنا على الأرض. إن عمله على الصليب لا يمكن أن يتكرر أبداً. ما من حاجة إلى تكراره، لأنه سوّى مسألة الخطيئة على نحو كامل عندما أخذ مكاننا في القصاص. وفي هـــذا لـــدينا إدراك أو تمييز واضح بين الذبائح الناموسية وتقديمه لنفسه، عندما ظهر في ملء الزمان ليزيل الخطيئـــة بذبيحتـــه المقتدرة. إن قرابين وتقدمات العهد القديم كان يجب أن تتكرر مراراً وتكراراً لأنها لم تكن ذات قيمة كافية لتسوية مسألة الخطيئة. ولكن دمه الثمين الذي أُريق لأجل فدائنا كان ذا قيمة لا متناهية حتى أنه من المحرمات أن نفكـــر بإضافة أي شيء إليه بأي شكل من الأشكال. أما وقد قام بوظيفته على المذبح، والتي كانت تجاوباً مع رمز يـــوم الكفارة العظيم فإنه الآن قد مضى إلى المقدس بقيمة دمه ذاته، ويوماً ما سيخرج ليبارك شعبه كما كان الكـــاهن يفعل في القديم.

"حتى وإن احتجب لبرهة،

عن عيون البشر،

إلا أن شعبه يرتقب

ظهور رئيس كهنتهم العظيم من جديد".

كما أن الناس في الواقع كانوا تماماً تحت حكم الموت من جراء القصاص، هكذا أخذ المسيح ذلك الحكم على نفسه وقُدِّم مرة ليحمل خطايا كثيرين. وكما سيظهر بالتأكيد لأولئك الذين يرتقبونه في الوقت الثاني الآتي،

بمعزل عن مسألة الخطيئة، منتظرين خلاصاً كاملاً ونهائياً لأجل خاصته جميعاً. في هذه الأثناء، ظهر الروح القدس ليحمل شهادة عن كفاية عمله الإسترضائي، في حين أنه هو نفسه يتابع خدمته في القدس السماوي.

يجب أن يكون واضحاً أن الجزء الثاني من الآية ٢٨ لا يقصد بها أن تعلّمنا أن وحدهم أولئــك الــذين تقدموا بالمعرفة عبر النبوءات، ولذلك يعيشون في انتظار يومي للمجيء الثاني للمخلص، إذاً، تعلمنا تلك الآية أن ليس هؤلاء فقط سيختطفون للقائه لدى عودته. لم يكن هذا أبداً في فكر الكاتب، وبالتأكيد ليس في تعليم الروح القدس في أي مكان في الكتاب المقدس، ولكن كما أن جميع الإسرائيليين يمكن القول بأنهم ينتظرون ظهور رئيس الكهنة الذي كان ليرش دم الكفارة على كرسي الرحمة، فكذلك كل المؤمنين ينتظرون مجيء ربنا يسوع ثانية. ربما ليس هناك معلومات كثيرة عن شكل مجيئه ولا عن ترتيب الأحداث، إلا أن القلب المتجدد يهتفُ قائلاً: "تعــال، أيها الرب يسوع".

في الآيات الــ ١٨ الأولى من الأصحاح ١٠ نرى التغاير بين الذبائح التي كانت تحت الناموس وذبيحة نفسه. وهذا التمايز أو التغاير يظهر بشكل أوضح مما سبق بكثير. من المهم أن نتابع النقاش أو الجدال بعناية وأن نلاحظ المقاربة المحكمة للرسول بولس وهو يغاير الأولى مع الأخرى. إن النظام اللاوي لم يكن سوى ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ. لم يكن نَفْس صُورَةِ هذه الأَشْيَاءِ. ولذا فلم يكن من الممكن لهذه الذَّبَائِح التي كانت تُقدّم على المــذابح اليهودية كل سنة وعَلَى الدَّوَامِ أن تكمّل ضمائر أولئك الذين يقدمونها. لأنه لو كان تقديم ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يســوّي مسألة الخطيئة، فما كانت الحاجة إذاً لتكرار تقديم هذه الذبائح؟ إن المتعبدين، إذا ما تطهروا مرةً، كان ينبغي أن يتحرروا من كل تبعات الخطايا. لاحظ أنه لا يقول "إدراك الخطايا" بل "ضَمِيرُ خَطَايَا". والفرق والتمييز بينهما هو في غاية الأهمية. قد أدركُ اليوم الخطيئة في الفكر والكلام والأفعال، ولكن باعترافي بالخطايا فإني أرفع بصري إلى وجه أبي بثقة إذ أعلم أن دم المسيح قد سُفِكَ لأجل هذه الخطايا، ولذلك تحرر ضميري من ذنب هذه الخطايا. وما كان لهذا أن يكون في ظل النظام السابق. فكل خطيئة كانت تستدعي ذبيحة جديدة، ثم في يوم الكفارة العظــيم كانت تُقدم ذبيحة سنوية عن كل بني اسرائيل. لاحظ الآية ٣: "لَكِنْ كان فِي تلك الذبائح كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا". إن التركيز في الترجمات على مر الأيام كان على المعنى. فالكلمة التي تُرجمت إلى "ذكر" كان من الأفضــل لــو ترجمت إلى "إدراك" أو "تذكر" أو "إقرار". ولكن ما الداعي إلى "ذكر" هذه الخطايا إن كان بمقدور الــذبائح أن تطهرهم فعلياً؟ يبدو أن ثمة إشارة واعدة هنا. فلو افترضنا أن امرئ مدين ببعض المال. ولنفترض أنه حرر شــيكاً فيه يتعهد بإيفاء المبلغ بعد سنة. ولكنه وجد نفسه عاجزاً عن الدفع بعد سنة. فيجدد تحرير الشيك والوعد بــأن يدفع لاحقاً. إن الشيك لا قيمة له بحد ذاته. ولا كان للذبائح أي قيمة أخلاقية أو روحية في نظر الله. ولكــن في توقيع ذلك الشيك إقرار بالدين من سنة لأخرى. فإن افترضنا أن شخصاً مقتدراً (مادياً) جيّر الشيك لنفسه (أي حوله إليه كي يدفعه عن ذلك الشخص)، فماذا يحدث عندئذ؟ عندما يستحق الاستيفاء يُطلب منه أن يدفعه، فيفي الدين المستحق ويسوي المسألة.

إن التطبيق هو في غاية البساطة والوضوح. فما كان لدم ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ أن يَرْفَعُ خَطَايَا؛ ولكن كلما كان اسرائيلي مؤمن يحضر ذبيحتَه إلى المذبح، كان كمن يعطي الشيكَ لله. وبذا كان يقر بمديونيته، وخطيئته، ويتحمل

مسؤولية عن ذلك. هذا كان كل ما في وسعه أن يفعله. إلا أن المسيح، وقبل تجسده، تعهد بإيفاء قيمة كل هـذه الشيكات، وفي ملء الزمان جاء ليدفع كل المستحقات عن الجميع. "لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَداً. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ثُمَّ قُلْتُ: هَئَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ»" (الآيات ٥- ٧). فها هنا فعلاً المُقر الإلهي بدفع الشيكات الذي يأخذ على عاتقه بالنعمة مسؤولية كل مطلب من مطالب عرش الله ضد الخطأة التائبين. في هذا المقطع، المأخوذ من المزمور ٤٠: ٦- ٨، يجدر بنا أن نلاحظ ذكر الذبائح الأربع جميعاً المطلوبة في لاويين ١- ٧. إن كلمة "ذبيحة" تعني في الواقع (***minchah***) وهي "ذبيحة" الطعام. إن الكلمتين الأخريين ليستا في حاجة إلى الشرح. إن كل هذه الذبائح والتقدمات ما كانت لتنفع في إزالة الخطيئة، ويمكن القول أنها ما كانت لتسترضي الله. ولكن عندما جاء ابنُه المبارك بالذات إلى العالم ليحقق جميع هذه الرموز، وليدفع ثمن الفداء بشخصه، مكتوب: "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (أشعياء ٥٣: ١٠).

بتحقيق ما أعلنه المزمور ٤٠، أبطل الزمن القديم وأتى بالزمن الجديد. "يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ".

عندما قال: "«هَئَنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ»"، فإنه بالطبع يقصد مشيئة الله في أن يأتي ليصنع كفارة عن التعديات؛ وبتحقيقه لتلك المشيئة فإن من يؤمن به يُكرس الآن لله، ليس على أساس وعودنا أو مشاعرنا أو برّنـا الشخصي، بل على أساس تقدمة جسد يسوع المسيح مرةً واحدة وعن الجميع. كم هي بطيئةٌ نفوسنا في تفهّـم هكذا حقائق وتقبلها كجزء من كينونتنا نفسها. ولعل في مقدور المرء أن يقول أنه ليس هناك من سلام دائـم إلى أن تصبح هذه الحقيقة في أُسِّ إيماننا بالعمل الذي أتمّه المسيح.

وإذ نتابع، نجد أن الكاتب يُذَكِّر قراءه بأن رؤساء الكهنة في مقدس العهد القديم كانوا علـى الـدوام يقومون بخدمةٍ وينجزون عملاً لم يكتمل أبداً، بسبب حقيقة أن تلك الذبائح ما كانت لتزيل الخطايا. إن العبـارة "وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ" هي ذات مغزى مهم بحد ذاتها. لا نقرأ هنا عن كرسي أو أريكـة في خيمـة الاجتماع (المسكن) أو الهيكل، لأن عمل الكاهن لم يُنجز أبداً. وشتّان ما بين ذلك ورئيس كهنتنا العظيم الذي في العلاء! فهو، وبعد أن قدّم نفسه ذبيحة عن خطايانا لمرة واحدة وإلى الأبد، جلس عن يمين الله، حيث ينتظر الآن إلى أن يصبح أعداؤه موطئاً لقدميه. إن رَبَطَ المرء بين تعبير "إلى الأبد" و عبارة "ذبيحة واحدة عـن الخطايـا" و الجلوس أم لا، ليس أمراً ذا أهمية. تلك الذبيحة كان تأثيرها يدوم إلى الأبد. من جهة أخرى، وبما أنـه الكـاهن والتقدمة بآن معاً، فإن عمله اكتمل وجلس (في السماء)، ليس ليقدم ذبيحة من جديد أبداً علـى الإطـلاق. إن الذبيحة الوحيدة التي قدمها كانت كاملة ومكتملة وكل من ارتبط به بالإيمان يظهر أمام الله بكل قيمة ذلك العمل المتمم، المكمّل إلى الأبد، لأنهم تقدسوا فيه.

وعن هذا يشهد لنا الروح القدس. لقد أُرسل من قِبَلِ الآب والابن ليشهد على كمال ذلـك العمـل المتمّم. وهو الذي يفتح الآن الكتاب المقدس في العهد القديم ويعطينا أن نرى فيه ما لم يدركه قديسـوا العهـد القديم هناك. لاحظ الاقتباس أو الاستشهاد من إرميا ٣١: ٣٣، ٣٤. ما كان قد وُعد به بيتُ اسرائيل ويهـوذا من خلال العهد الجديد قد صار الآن حقيقياً في متناول كل الذين يؤمنون بالمسيح.

بالولادة الجديدة يجْعَلُ الله نَوَامِيسه فِي قُلُوبِهِمْ وَيكْتُبُهَا فِي أَذْهَانِهِمْ، ويعلن بصريح العبارة أن "«لَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ»". وفي هذا تبرير كاملٌ من كل الأشياء. فما من إدانة تصيب الآن من سوى المسيح كل شيء لأجله. ومن هنا نفهم الخاتمة المباركة أن "حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ لِهَذِهِ لاَ يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيَّةِ" (الآية ١٨).

وهذا يخول إذاً "أخوة" المسيح، البيت الكهنوتي الجديد، لأن يدخلوا بثقة كمتعبدين أنقياء إلى الأقداس، حيث الحضور الحقيقي لله، بكل القيمة اللا متناهية التي استحقها دم يسوع من خلال تلك الطريقة الحية والجديدة التي افتتحها لنا بنفسه عندما انشق الحجاب إلى شطرين، لحظة موته على الصليب، وما عاد الله محتجباً، وما عاد أي إنسان في المسيح مُغلقاً عليه في الخارج. إن الفادي والمفتدى مرتبطان معاً على نحو وثيق، وإن رئيس الكهنة والبيت الكهنوتي متحدان معاً بقوة أمام الله، حتى أننا مدعوون لندخل بالروح إلى حيث دخل، وأن ندنو من الله بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ القائم على أساس العمل الفدائي المتمم؛ وإذ قُلُوبُنَا مَرْشُوشَةَ مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، كمثل أي إسرائيلي نجس، فإن "أَجْسَادَنَا مُغْتَسِلَة بِمَاءٍ نَقِيٍّ". إنه لمما يُؤسَف له أن قلةً من المسيحيين يفهمون كل ذلك اليوم. يصح القول بأن آلاف من الذين لديهم رجاء بالمسيح، يبدو أن الحجاب لم يُشق أبداً بالنسبة لهم. ليس لديهم أي إدراك لحرية الدخول إلى الأقداس، بل ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شعب لا يزال في فترة امتحان، وهؤلاء لو أنهم كانوا مخلصين لاعترافهم لكانوا سيُأهلون في نهاية المطاف للدخول إلى حضرة الله. فكم من ضلالٍ هناك بسبب إخفاقهم في فهم مكانة المسيحي الحقيقية التي عبّرت عنها على نحو جميل تلك الكلمات في الترنيمة القديمة التي تقول:

"والآن نرى من خلال قبول المسيح،

ولكن المقياس هو لنا؛

فذاك الذي احتمل قصاصنا،

قد جلس في الأعالي متربعاً على العرش".

إن الله يرى كل مؤمن فيه (في المسيح). وأضعفُ قديس مؤمن له الحق في الدخول الفوري المباشر إلى الأقداس بالدم الكفاريّ. إن التحذير والتنبيه الذي يلي ذلك ما كان يعني أبداً أن الروح القدس يحجب هذه الحقيقة المباركة ولو بأدنى حد، بل إنه يؤكد على أهمية التمسك بما أُعلن وكُشف هنا بإيمان وثقة.

القسم د. أصحاح ١٠: ٢٣- ٣٩

تحذير من الارتداد؛ أدلة واقعية

بعد الدعوة الثمينة للدخول إلى الأقداس يأتي التحريض الموجه لنا في الآيات ٢٣- ٢٥: "لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخاً، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ. وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ،

غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ". لربما كان يجدر استخدام الكلمة "اعتراف" أفضل من الكلمة "إقرار" الواردة في الآية ٢٣. فإننا قد نقر بما هو غير حقيقي. أما الاعتراف فهو بماهية الأمر.

لقد أعلن المؤمن إيمانه بمسيح مصلوب وقائم وممجد. إنه مدعو لأن يتمسك بهذا الإقرار (الاعتراف) العظيم دون أن يلتفت إلى اليمين أو إلى الشمال، ويكون معزّزاً بأمانة ذاك الذي أعطى الوعود المتعلقة بابنه، وبالنعمة حققها حتى الوقت الحاضر. يبقى وعد عظيم يجب تأكيده لدى عودة ربنا، ولعله ينبغي أن نكون متأكدين بأن ذاك الذي لم يخفق أبداً في أي جانب مما يتعلق بالماضي والحاضر من عمل المسيح سوف يكون على نفس النحو أميناً صادقاً فيما يتعلق بما سيأتي.

لثلاث مرات في هذا القسم من الأصحاح لدينا الكلمات الإقناعية التحريضية "دعونا" (أو "لـــ "). فأولاً: "لِنَتَقَدَّمْ"، في الآية ٢٢؛ ثم: "لِنَتَمَسَّكْ" في الآية ٢٣؛ والآن: "لْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً" في الآية ٢٤. ليس المؤمن وحده في إقراره بالمسيح، ولا يفترض فيه أن يسلك أو يعيش في عزلةٍ. إنه مرتبط مع الآخرين بالطبيعة والنعمة كليهما، وهو مدعو ليسعى لأن يحرّض أخوته إلى المحبة والأعمال الحسنة، مجتمعاً مع أخوته القديسين في العبادة، والصلاة، والشهادة، لا لأن ينسحب ببرودة كما يفعل البعض، بل إن تَذكُّرَه مسؤوليته نحو أخوته هو أكثر ما يجب أن يكون إن بدا البعض يخفق بشكل محزن وكان آخرون عرضة لخطر ذلك. ولا ينبغي عليه أن يجعل من أية حقيقة نبوية سبباً لاتخاذ موقف متعصب نحو أخوته. إنه في حاجة إليهم وهم في حاجة إليه بالأكثر مع اقتراب يوم عودة المسيح المجيدة إلى هذه الأرض.

في الآيات ٢٦– ٣١ لدينا وجهة أخرى من الأمور كليةً. إن التحذير هنا هو من الارتداد. فنقرأ: "فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا، بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ. مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟ فَإِنَّنَا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الانْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». وَأَيْضاً: «الرَّبُّ يَدِينُ شَعْبَهُ». مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!".

إن التحذير هنا يستند على كمال ذبيحة المسيح وخلوها من العيب هذه التي أُظهرت بطريقة رائعة في القسم السابق من الأصحاح؛ كما أن الأصحاح ٦ كان يستند على قوة عمل الروح القدس الجلية الفاعلة في الجماعة المسيحية، التي كان الله قد خصصها لتمجد وتعلي شخص المسيح. إن الارتداد عن الحق المتعلق بشخصه أو عمله المُكمَّل يعني هلاكاً أبدياً. إنه ليس إخفاقاً وحسب في الحياة هنا. إن الخطيئة المتعمدة الاختيارية التي يتم الحديث عنها في هذا المقطع هي بالتحديد رفض ذبيحة المسيح الكفارية. ليست المشكلة هنا هي التصميم الأحمق والشرير لوهلة، كما انتاب البعض، ولكنهم تابوا عن الخطيئة فيما بعد. يقول الرسول في الواقع: "فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا". إن الفعل هنا هو في صيغة الحاضر التام أو الماضي. وهذا يعني أن المسألة قد صارت عادة. فإن حدث، بعد أن يكون المرء قد تمعن بشكل كامل بما يعلّمه

العهد القديم عن المسيح وعمله وقارنه بما ظهر في العهد الجديد، وبذلك يكون قد حصل على المعرفة الكاملة للحق، إن حدث بعد كل ذلك أن يرفض هذا المرء كل ذلك عن عمد وإصرار، فإنه لن يكون لدى الله ما يقوله له بعد. فبقيامه بذلك، إنما يقاوم بازدراء الوسيلة الوحيدة للخلاص المتاحة لليهود والأمميين. ربما كان العبراني الناكص عن الإيمان يفكر في نفسه بأنه يجب أن يستمر في تقديم الذبائح في الهيكل. ولذلك، حتى وإن اعترف بأنه تابع للمسيح، فإنه يعود إلى تلك الذبائح. إلا أن هذا خطأ فادح. فتلك الذبائح ما عادت تنفع. فكفارة المسيح وحدها أرضت مطاليب الله فيما يخص الخطية. وهكذا فما كان للمرتد أن يتوقع سوى الدينونة الإلهية والغضب المتقد. في القديم، كان من يزدري بالعهد الأول يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ. فكم يكون ذنبه مقارنةً بذاك الإنسان الذي عرف رسالة الإنجيل واعتقد بها لوهلة، ثم، ولأسباب أنانية ذاتية، ارتد عنها وعاد إلى اليهودية؟ بقيامه بذلك كأنما يدوس ابنَ الله ويحَسب دَمَ الْعَهْدِ الجديد الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً. من الواضح أن هذا لا يمكن أن يحصل مع من هو مولود لله حقاً لأن الروح القدس الساكن فيه يقيه من هكذا خطوة فظيعة. ثم ما معنى العبارة: "دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً"؟ الجواب بالتأكيد هو أن هذا التقديس وظيفي هنا. فكما أن جميع بني اسرائيل كانوا قد فُرِزوا بدم العهد القديم في سيناء، وكما أن كل من كان ينقصه الإيمان من بين الاسرائيليين كان يُحرم من الامتيازات التي كان ذاك الدم يقدمها، كذا اليوم فإن الكنيسة المعترفة برمّتها مفروزة لله على الأرض بدم العهد الجديد. ولكن هذا لا يلغي إمكانية الارتداد عن علامة هذا العهد ورفض البركة التي اشتُرِيَتْ به. إن الروح القدس يبتهج بتمجيد المسيح وإعلاء عمله. وإن رفض شهادته هو ازدراء بروح النعمة. إن هذا التعبير "رُوحِ النِّعْمَةِ" يرد هنا فقط في العهد الجديد، ولا يُذكر سوى مرة واحدة في العهد القديم، وذلك في (زكريا ١٢: ١٠).

هناك إيحاء ممتع في الآية ٣٠ يؤيد فرضية نسبة أو أصالة هذه الرسالة. فنقرأ: "فَإِنَّنَا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الاِنْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». وَأَيْضاً: «الرَّبُّ يَدِينُ شَعْبَهُ»". هذه الاقتباسات أو الاستشهادات هي من (تثنية ٣٢: ٣٥، ٣٦). الاقتباس الثاني هو نفسه تماماً من النص العبري الأصلي (للعهد القديم)، أما الأول فهو ليس من النص العبري وليس من الترجمة السبعينية. إنه استخلاص أو تأويلٌ للنص نفسه من قِبَل الكاتب، ويرد في النص اليوناني تماماً كما جاء في رومية ١٢: ١٩. ونعلم من كان كاتب رسالة رومية. وإننا على يقين من أنه هو نفسه من خَطَّ الرسالة إلى العبرانيين.

كلمة التحذير هنا تنتهي لوهلة بالتصريح المهيب أن: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ". فكل من يرفض الشهادة التي قدمها بخصوص ابنه يجب أن يلاقي دينونة؛ ونقرأ في مكان آخر: "لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ" (مز ١٤٣: ٢). أما القول "الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ" فهو إعادة صياغة لما ورد في رومية ٦: ٧.

لقد استخدم الشيطان هذا المقطع الذي نتأمل فيه الآن ليقلق ويربك ويحير النفوس الصادقة ذات الضمائر الحساسة الرقيقة فيجعلهم يشعرون بالإخفاق في أن يسلكوا مع الله كما كان ينبغي عليهم. لطالما فعل الشيطان ذلك ليثير الخوف لديهم بأن يكونوا مذنبين بارتكاب هذه الخطيئة المتعمدة التي يحكي عنها بولس هنا. ولكنها ليست مسألة ما يدعى عامة بـ "ارتداد" هي التي أمامنا هنا. فهذه قد يقع فيها أي مؤمن حقيقي؛ بل حتى

عندما يغمره أو يطغي عليه الإحساس بالإخفاق فإن المؤمن يتشبث بقوة أكبر مما قبل بحقيقة أن يسوع هو المخلص الوحيد وأن ذبيحته هي الوسيلة الوحيدة للانعتاق من دينونة الخطيئة. إن المرتد في هذا الأصحاح ليس لديه هكذا رجاء أو إدراك. لقد رفض بازدراء كلاً من المسيح والصليب وإنه يصدُّ دم يسوع بازدراء واحتقار، ولذلك فبالنسبة له ليس هناك سوى الهلاك يرتقبه.

من الواضح من الآية ٣٢ حتى نهاية الأصحاح أن الكاتب يسعى إلى أن يشدد قلوب كل أولئك الذين آمنوا بالمسيح حقاً لئلا تنطبق عليهم كلماته، بينما يحذّرهم، من جهة أخرى، من خطر أن يديروا ظهرهم، ولو بأدنى درجة، إلى أية حقيقة أعلنها الله. إنه يدعوهم لأن يتذكروا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ، تلك الأيام التي بفضل إيقاظ الروح القدس لهم واستنارتهم بالحق قد أشاحوا عن العالم لأجله وكانوا راضين بأن يتألموا لأجل اسمه، محتملين ضِيقَاتٍ شديدة، ومعرضين شخصياً للتوبيخ والاضطهاد، ومحتملين في أحيان أخرى الازدراء من قِبَلِ أبناء دينهم السابقين بسبب شِركتهم وعلاقتهم مع أولئك الذين يعانون كرمى للمسيح. بهذه الطريقة أظهروا محبتهم له (لبولس) مبدين تقديرهم الشديد له بعد سجنه، بل حتى قَبِلوا سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ، إذ يعرفون من خلال ثقتهم بكلمة الله أن لهم كنزاً أَفْضَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَبَاقِياً. وإذ بدأوا بشكل جيد على ذلك النحو واستمروا حتى ذلك الوقت في تكرسهم المخلص للمسيح، فإنه يحثهم على المثابرة على ذلك إلى المنتهى. "فَلاَ تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ الَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ. لأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الصَّبْرِ، حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ الله تَنَالُونَ الْمَوْعِدَ" (الآيات ٣٥، ٣٦). والمكافأة أمرٌ مختلف عن الخلاص. فالأخير (الخلاص) هو بالنعمة كلياً، ويكون لنا منذ اللحظة التي نؤمن فيها بالرب يسوع المسيح، أما مكافأتنا فإننا سنتلقاها عند مجيئه. إنه يقول: "ها إني آتي سريعاً والمكافأة معي لأعطي لكل إنسان بحسب عمله". ومن هذا المنظار، كم نحن في حاجة إلى أن نحتمل بصبر وأناة ونحن على يقين بأننا عندما نحقق إرادة الله فيما يخصنا سوف نتلقى البركة الموعودة بأكملها لدى عودته. "لأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جِدّاً سَيَأْتِي الآتِي وَلاَ يُبْطِئُ" (الآية ٣٧). وهذه إنما هي إعادة سبك أو صياغة لما ورد في حبقوق ٢: ٣، التي تأتي في الترجمة السبعينية على النحو التالي: "لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَاناً وَلاَ تَتَأَخَّرُ". إن المسيح نفسه هو الذي أمام ناظري النبي الذي قال ذلك. وهو (أي المسيح) سوف يفي بكل وعد قطعه لشعبه المتألم عندما يعود بقوة ومجد. ولن يتأخر مجيئه كثيراً، رغم أن هذا ما سيبدو عليه الأمر أحياناً بالنسبة لشعبه المنتظر. بيد أنه علينا أن نتذكر أن "يَوْماً وَاحِداً عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ"[1]، فكلها يومين في نظر الرب ونجد المسيح يعود من جديد. فمن ذا الذي يعرف في أي وقت يرجع المسيح.

في هذه الأثناء نجد أن الله يقول: "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا، وَإِنِ ارْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي". وهذا أيضاً اقتباس من حبقوق ٢: ٤. من اللافت كيف أن روح قدس الله يستخدم نصاً قصيراً من كاتب مغمور من العهد القديم ليؤكد حقيقةً عظيمة تميّز الوقت الحاضر، "الْبَارُّ بالإِيمَانِ يَحْيَا". إننا نتبرر بالإيمان؛ ونُحفظ في حياة البر بالإيمان؛ وبالإيمان نحيا لله. فإن ارتد أحدٌ، بعد الإقرار بالإيمان على هذا النحو، فإنه يبرهن أنه لم يكن لديه إيمان حقيقي في نفسه، ويصرّح الله أن "لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي". يا لها من كلمات معزية تلك التي ينتهي بها الأصحاح. ويا له من يقين

[1] - (٢ بطرس ٣: ٨).

تدخله تلك الكلمات إلى نفس كل مؤمن. "وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مِنَ الارْتِدَادِ لِلْهَلاَكِ، بَلْ مِنَ الإِيمَانِ لاقْتِنَاءِ النَّفْسِ". هناك إيمان بالفكر وهذا لا يخلّص أحداً. قد يقتبل امرؤ المسيحية كنظام ديني يوماً ثم لا يلبث أن يتخلى عنه في اليوم التالي. أما من يؤمن حقاً بالمسيح فيخلص من الآن ولن يعود أبداً إلى حالة الهلاك الأبدي. وعن هؤلاء قال ربنا: "الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ"[1]. ونعلم أن من ابْتَدَأَ عَمَلاً صَالِحاً فيهم عليه أن يُكَمِّل إِلَى يَوْمِ مجيء المسيح. لذلك فينبغي أن يكون واضحاً بأن الخلاص ليس في أن نحفظ بل أن نُحفظ نحن أنفسنا بقوة الله. ما من أحد في مقدوره أن ينتزعنا من بين أيدي الآب والابن. إن الحياة الأبدية لا تكون "أبدية" إن كان هناك احتمال لخسرانها أو فقدانها على الإطلاق.

[1] - (يوحنا ١٧: ١٢).

الجزء ٤. الأصحاح ١١

طريق الإيمان وأبطال الإيمان

القسم أ. أصحاح ١١: ١- ٣

طبيعة الإيمان

أطلق البعضُ على هذا الأصحاح الحادي عشر اسم "دُرْجُ تكريم الله". إنه في الواقع سجلٌ لانتصارات الإيمان من جهة خدام الله البارزين في أزمان تدبيرية أربعة. هَابِيلُ وأَخْنُوخُ ونوح في عهد ما قبل الطوفان؛ ونوح وإبراهيم نفسه في عهد الحكومة؛ ثم إبراهيم، بعد الوعد بالنسل، وصولاً إلى يوسف البطريرك؛ وموسى وبقية البارزين المستحقين في عهد الناموس. هذه لم تكن سوى مراحل تمهيدية إعدادية تقود إلى عهد نعمة الله الحالي المجيد. ولكننا نرى في كل هذه الدهور الماضية أن الإيمان كان القوة السائدة التي كانت تمكّن الناس من أن يسلكوا مع الله وينتصروا على التأثيرات الفاسدة في عصرهم. من المهم أن نتذكر أن الله لم يكن لديه أبداً طريقتان لخلاص البشر. بينما جاء وحي نعمته تدريجياً، وطقوس وشعائر متنوعة ارتبطت به في أوقات شتى، فإن هذه الأخيرة لم تكن لها علاقة بتجديد أو تبرير الفرد. لقد كان حقيقياً دائماً أن الإيمان بكلمة الله، أياً كانت كلمة الله تلك، هي وحدها التي تبرر الإنسان أمام الله، ومن خلال تلك الكلمة يخلص البشر في جميع الأزمان، وهكذا يدخلون إلى ملكوته الروحي ويدركون سلطته في عالم هو في نزاع مع ذلك الحكم الإلهي. هذا يظهر بشكل واضح للغاية في هذا الأصحاح الذي بين أيدينا. في الآيات ١ إلى ٣ يُعطى لنا فهم طبيعة الإيمان نفسه: "إنه الثِّقَةُ بالأشياء المرجوّةِ، وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى" كما ترجمها شخص آخر. أي أن الإيمان بما أعلنه الله يعطي النفس يقيناً مطلقاً واقتناعاً راسخاً بحقيقة الأشياء التي لم تكن عيوننا الطبيعية لتراها. ومع ذلك فإن هذه الأشياء حقيقية بالنسبة لإنسان الإيمان مثل كل شيء آخر مما يستطيع أن يراه أو يشعر به أو يتذوقه أو يشمه أو يلمسه. في الواقع، لقد أصبحت أكثر حقيقية، لأن حواسه قد تخدعه، ولكن كلمة الله يعرف أنها معصومة عن الخطأ. هذا الإدراك الإيجابي بأن كل كلمة من كلمات الله حقيقية صادقة والتي تُسرع إلى جِدة الحياة عند المؤمنين في الأوقات العتيقة، وكانت تمكنهم من أن يشهدوا للأمور التي لم يكن للإنسان الطبيعي القدرة على أن يفهمها بمثل هكذا وضوح كما تروق لفكره.

لقد كان الناس يتحزرون على مدى القرون فيما يتعلق بأصل الكون، كانوا يشكون ويتساءلون فيما إذا كانت المادة أبدية، أو فيما إذا كانت قد خُلقت مباشرة من قِبَلِ الله ولكن في معزل عن الوحي، ما من إنسان كان ليمكن أن يتحدث بيقين عما يتعلق بهذه الأمور. الإيمان وحده يعطي فهماً للحقيقة. بالإيمان نفهم أن العالمين قد خُلقت بكلمة الله، وهكذا فإن الأشياء التي نراها الآن قد أتت إلى الوجود بأمره من العدم. من المعروف أن الكلمة التي تُرجمت "الْعَالَمِينَ" تعني في الواقع "الدهور"، ولكن القسم الأخير من الجملة يوحي بأن الحديث هو عن الخليقة المادية. إلا أنها الخليقة المادية التي مرت عبر عدة دهور متغيرة، وهذا كله بحسب مخطط الله السابق نفسه، لمجد ابنه.

يا له من تصور رائع وكم هو بعيد عن أسمى أفكار العالم المجرد. رجال العلم المبجّلين للّه العائشين في خشيته كانوا يدركون دوماً ضرورة الوحي الإلهي فيما يتعلق بأصل المادة، وما كانوا ليجدون مشكلة في القصة التي يوردها الأصحاح الأول من سفر التكوين (عن الخلق). إن الجحود والرفض المتعمد لشهادة الله هو ما يجعل البشر يتلكأون ويتعثرون ويشوهون هكذا كشف رائع لبدايات السماوات والأرض المخلوقتين. إن الإيمان ينحني في خضوع لشهادة الله التي قدّمها ويمجده لأجل هكذا كشف مذهل للحكمة الإلهية. أوضح ف. و. غرانت، هذا المتوفى، على نحو ملائم، التعارضَ في فرضية عالِمٍ مثل تشارلز داروين الذي كان كتابُه الهام "أصل الأنواع" موضعَ ترحيب من قبل عديدين إذ يلقي فيضاً من ضوء على الطريقة التي تم فيها الخلق. ومع ذلك ففي ذلك الكتاب نفسه، لا يقترب داروين أبداً من مسألة الأصول. في طبيعة الأشياء نفسها، لا يمكنه أن يفعل ذلك، لأنه ما من إنسان غير خاضع للروح القدس يمكن أن يعرف أي شيء يتعلق ببدايات الكون المادي، والخلائق والكائنات التي تعيش فيه. ولكن كل شيء واضح للإيمان. إن أبسط مسيحي وبكتابه المقدس أمامه كان ليقول: "بالإيمان نفهم".

القسم ب. أصحاح ١١: ٤- ٧

الإيمان وقد تمثل في عهود ما قبل الطوفان

ها هنا ثلاثة نماذج من الرجال اختارهم الروح القدس من تدبير الضمير، يمتد عهدهم من طرد جدَّينا الأولين من عدن إلى دمار "العالم الذي كانوا فيه عندئذ" بسبب الطوفان. أليفاز، في سفر أيوب، يلفت الانتباه إلى الطريقة التي بها "قُبِضَ عَلَى الأشرار في القديم قَبْلَ الْوَقْتِ، حيث انْصَبَّ الْغَمْرُ عَلَى أَسَاسِهِمِ، الْقَائِلِينَ لِلَّهِ: ابْعُدْ عَنَّا"[١]. وهنا، ومن جهة أخرى، يُطلب إلينا أن نتأمل في ثلاثة رجال وجدوا مسرتهم في الله، ومجّدوه بالإيمان في يوم كان الفساد والعنف يملأ الأرض على نحو سريع متفشٍ.

في هابيل لدينا الإيمان الأساسي الذي يكون فيه الدنو إلى الله على أساس الذبيحة؛ وعلى أساس تقديم كائن حي كان الله قد عيَّن دمه ليكون مثالاً توضيحياً عن ذبيحة وموت ابنه المبارك ذاته. لم يكن ذلك افتراضاً عشوائياً من جهة هابيل ذاك الذي قاده إلى اختيار حمل من الماشية لأجل تقدمته، ولم يكن عملاً اعتباطياً قام به بإرادته وحسب. وهذا واضح من حقيقة ما يقوله بولس: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ". إن الإيمان هو الثقة بكلمة الله. ومن هنا فمن الواضح الجلي أن علينا أن نفهم أن الله نفسه قد كشف حقيقة أن الدنو إليه يجب أن يكون بالذبيحة. هذا الكشف تجاهله قايين على نحو صفيق. لقد كان هابيل يسلك بحسب إرادة الله المعلنة، وبذلك فقد "شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ"! إن برّه كان يقوم على الإيمان بالله والسلوك بحسب هذا الإيمان.

في أخنوخ نرى توضيحاً آخر للحقيقة. لقد سلك مع الله بالإيمان، ذلك الإيمان الذي انتصر على الموت. لقد نُقل إلى السماء دون أن يرى الموت. وكما في حالة إيليا فيما بعد كان الناس يطلبون جسده عبثاً. لم يوجَد

---

[١] - (أيوب ٢٢: ١٦، ١٧).

جثمانُه لأن الله رفعه إلى السماء من غير أن يتوفاه. قبل اختطافه كانت له الشهادة بأنه أرضى الله. لعلنا نتذكر كلمات ربنا حين قال: "«أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ"[١]. وكما نُقل أخنوخ قبل أن تأتي دينونة الطوفان، هكذا سيحدث مع أولئك الذين يسلكون الآن بالإيمان ويعيشون على الأرض لدى عودة ربنا يسوع المسيح ليجمع خاصته إليه، إذ سيُختطفون للقائه في الهواء دون أن يعبروا الموت.

ولذلك نرى أن إيمان أخنوخ وإيماننا هما من ذات الطبيعة. إننا نرى أنه كان إنساناً متجدداً تبرر أمام الله وسلك مع الله بقوة الإيمان. "بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاء (الله)". ما كان للإنسان الطبيعي في أي زمان أن يعيش لمجد الله، ومن هنا كانت الحاجة إلى ولادة ثانية. فذاك الذي سيدنو إلى الله يجب أن يكون لديه الإيمان به، إيمان حقيقي بأنه يوجد وبأنه سيكافئ أولئك الذين سيطلبونه. وهذا ينسجم بشكل كامل مع الإعلان العظيم الوارد في رومية ٢: ٦– ٨. ما من إنسان في أي زمان سعى بصدق وراء الله وأخفق في أن يجده لأنه كان دائماً يكشف نفسه لذوي الإيمان.

في نوح نرى الإيمان ينتصر على الدينونة. وهنا من جديد نحن مدعوون لنتأمل في رجل سمع صوت الله في أعماق نفسه في زمن معتم وصعب، وبوحي حذّره الله من شيء لم يكن ليستطيع أن يراه في ذات طبيعة الأشياء؛ إلا أنه آمن بالله وتحرك بدافع الخشية والمخافة، فبنى فلكاً لخلاص بيته. وبسلوكه هكذا بحسب كلمة الرب كان إنما يدين العالم وأصبح وريثاً للبر الذي حسب الإيمان. إن بناء الفلك بحد ذاته كان عظة لأولئك الذين كانوا قبل الطوفان. كل ضربة من مطرقة نوح كانت جزءاً من كرازته بالبر لذلك الجيل. وهذا أظهره رجل إيمان، وأظهر بالمقابل عصيانهم الكلي.

عندما قال الله لنوح: "ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارّا لَدَيَّ فِي هَذَا الْجِيلِ"، فإنه كان يتكلم أساساً عن البر الذي من الإيمان. فحيث يكون هناك إيمان حقيقي في النفس، تستجيب الحياة إلى البر الذي يُنسب إلى الله.

القسم ج. أصحاح ١١: ٨- ١٦

الإيمان المرتقب من النسل الموعود

ينتمي نوح إلى زمنين أو عهدين. لقد خَتَمَتْ شهادتُه ذلك العهد الذي جُرب فيه الإنسان ووُجد ضعيفاً تحت الضمير. وإذ خطا خارجاً من الفلك وبنى مذبحه على الأرض الجديدة، بدأ عهد تدبيري جديد، ذاك الذي يتميز بالحكومة البشرية، وبوعد وشهادة، هذا العهد الذي نتحدث عنه عموماً على أنه عهد الآباء. وفي هذا، يصبح إبراهيم الشخص المتميز، رغم أن الله يعطي بلطف ورأفة مكانةً ليست بقليلة لزوجته سارة، وذلك رغم

---

[١] - (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).

حقيقة أن القارئ العادي لما يرد في سفر التكوين قد يتخيل أن سارة لم يكن لها إلا إيمان ضعيف بالحقيقة، عندما يرى أن الملاك قد وبخها على ضحكتها المكبوتة الخفية إزاء الإعلان الإلهي بأنها ستنجب ابناً.

أول خطوة اتخذها إبراهيم، كما تدون كلمة الله، كانت تدل على الإيمان: "بِالإِيمَانِ إبراهيم لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثاً، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي". ليس من ذكر هنا لإخفاقاته- وقوفه في حاران، ولا حقيقة أنه لم يعزل نفسه مباشرة عن عشيرته، بل يبدو أن والده بالفعل هو من أخذ المبادرة في هذه الخطوة الأولى. إلا أن الإيمان الذي قاده إلى كل تلك الحركة بالإجمال كان لإبراهيم الذي كشف الله له نفسه في أور الكلدانيين. وبحسب قول يشوع، فيمكن أن يكون بعض بيت إبراهيم من الوثنيين. فقد قال: "آبَاؤُكُمْ سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ. تَارَحُ أَبُو إبراهيم وَأَبُو نَاحُورَ، وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى" (يشوع ٢٤: ٢). ولكن كان ذاك لشاب فتي ترعرع في هكذا ظروف كشف الله الحي ذاته له، ومن تلك اللحظة أينع الإيمان في نفس إبراهيم. لقد كان إنساناً جديداً مولوداً لله، رغم أنه لم يكن بعد الشهادة الواضحة بأنه تبرر بالإيمان. فهذه جاءت فيما بعد مع الوحي الكامل والإعلان عن النسل الموعود.

بالإيمان وطئ طريق الترحال، وتَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّه غَرِيب، وخيمته ومذبحه تشهدان على الصفتين المزدوجتين في كحاج وعابدٍ لله. وتبع اسحق ويعقوب، الوارثَين نفس الموعد معه، نفسَ مثاله. توحي الآية ١٠ بأن الله كشف إعلانات رائعة لإبراهيم لم يسجّلها العهد القديم؛ إذ نقرأ: "كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ". هذه المدينة لا توصف لنا أبداً إلى أن نصل إلى الأصحاحات الختامية في سفر الرؤيا. إنها موطن كل قديسي الله، وإليها كان إبراهيم يتوق بسبب مجدها، معتبراً الأشياء الحاضرة آنذاك على أنها مؤقتة زائلة ليست بذات قيمة.

إيمان سارة، ورغم أنه كان غامضاً مبهماً أحياناً، يشرق بسطوع في الواقع عندما نتذكر كم كان من المستحيل تماماً من وجهة نظر بشرية أن تصبح تلك المرأة أماً للابن الموعود فقد كان هناك عطل من جهتها وزوجها- عطل جاء بهاجر إلى المترل وأدى إلى تلك الظروف التعيسة فيما بعد- وكان هذا أمر حقيقي، إلا أن كل ذلك كان زائلاً وحسب. إن ما سَرَّ الله في سارة هو أنها "حَسِبَتِ الَّذِي وَعَدَ صَادِقاً". ولذا يذكّرنا الرسول بولس بأن (ابنها) "وُلِدَ أَيْضاً مِنْ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ مِنْ مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ".

وهكذا يُختتم هذا الجزء المحدد من الرسالة بإعلان موت جميع هؤلاء في الإيمان. لقد تركوا هذا العالم دون أن يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، إلا أنها كانت صادقة بالنسبة لهم، وتمسكوا بها، وبسبب هذه الوعود أَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ. أن تتخلى عن الأشياء الحاضرة إزاء البركة المستقبلية هو أن تعلن بصراحة أنك تنشد موطناً. ما من امرئ يمكن أن يهجر هذا العالم هنا حقاً إلى أن يكون قد رأى بالإيمان عالماً فوق أفضل وأسطع. كان بمقدور الآباء أن يرغبوا وأن يعودوا إلى الأشياء الزائلة التي كان الله قد أخرجهم منها إلا أنهم قد سعوا إلى شيء أفضل ألا وهو موطن سماوي؛ لقد تخلوا عن المنافع الحالية إذ كانوا يتوقون إلى ذاك الذي وعد به الله ولذلك فقد سُر الله بأن يعتبرهم خاصته، وأن يربط اسمه بهم أولئك الذين أعد لهم مدينة. لنا أن نسعى في ركبهم، وهكذا كغرباء

ومترحلين نتابع السير وصولاً على الراحة التي بقيت لشعب الله. ولعل المرء يتذكر هنا كلمات ج. دهام سميث الجميلة:

"اهضي وأسرعي يا نفسي،
فقد تهاونتِ كثيراً،
وهلمي على عجل في ترحالك،
بالرجاء وبالترنيم.
فالوطن، موطنك صار قريباً،
وها قد بدأ يتراءى،
وما هو إلا بعض العناء،
إلا وتزول الأرض.

فلماذا التواني،
والسماء تنتظرنا؟
فها الأرض تتقهقر،
وسرعان ما تزول.
مسراتها وكنوزها،
التي عهدناها هنا يوماً،
ما عادت تفتننا،
إزاء هذا الهدف نصب أعيننا".

القسم د. أصحاح ١١: ١٧- ٢٢

الإيمان متمثلاً بالآباء من إبراهيم إلى يوسف

ابتداءً بالآية ١٧ لدينا سلسلة أخرى واضحة تحمل شهادة على قوة الإيمان. يتم استذكار إبراهيم من جديد، ولكن في ترابط مختلف كلياً. حتى الآن كان أمامنا على أنه المؤمن المرتَقِب (مولوداً) الذي ينتظر الله ليحقق وعده له بأن يعطيه ابناً. ورأينا كيف أن ذلك الإيمان قد كُوفِئ في الوقت الملائم بعد أن أثبتت الطبيعة بأنها عاجزة كلياً وكأنها ميتة. والآن لدينا نفس الأب يُظهر إيمانه تحت وطأة ظروفٍ جديدةٍ وأشد قساوةٍ ومشقة. الابن الموعود قد أُعطيَ، ولكن بالنسبة لقلب الأب جاء مطلبُ الله ليعيد ذلك الابن إليه، وليفعل ذلك بطريقة كانت نوعاً من التصور المسبق لذبيحة ابن الله نفسه على الصليب. وبطريقةٍ ما فاقت تلك كلَّ رمز آخر في العهد القديم. إن المشهد في تكوين ٢٢ يحرك كل نفس متجددةٍ إلى العبادة والتسبيح إذ تقرأ هذا الأصحاح، وهي تصور الأب والابن يذهبان إلى مكان تقديم الذبيحة. تتردد في هذا الأصحاح مرتين الكلمات الحانية الموجعة ذات المغزى التي تقول: "ذَهَبَا كِلاهُمَا مَعاً" (الآيات ٦، ٨). يا لها من بدايةٍ مدهشةٍ صاعقةٍ لهذه الرحلة السرية الخفية للآب والابن من عرش المجد إلى صليب الجمجمة. عن هذه الشخصيات الإلهية يمكننا أيضاً أن نقول: "ذَهَبَا كِلاهُمَا مَعاً". إنها

تخبرنا شيئاً عمّا كان يعني بالنسبة لله أن يقدم ابنه ليموت عن الإنسان الخاطئ، وتذكّرنا أيضاً بما كانت تعنيه ليسوع أن يأخذ مكاننا في الدينونة ويموت بالنيابة عنا وبدلاً منا.

في حالة إبراهيم، وكما أحسن ف. و. غرانت القول، الله "رحم قلب ذلك الأب من ألم موجع لم يعفِ ابنه ذاتَه منه". وهكذا قدّم لإبراهيم ابنَه ضحيةً صورياً فقط، وصورياً أيضاً استعاده من الموت. يمكننا أن نتخيل جسامة الصدمة التي أصابته ولا ريب عندما سمع الأمر بأن يأخذ ابنه ويقدمه ذبيحة محرقة. لو فعل ذلك، فكيف كانت لتتحقق تلك الكلمات أن "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ؟". ولكن الإيمان انتصر على الصعوبة التي كان لا يمكن التغلب عليها في الظاهر بما يخص الطبيعة، وقيّد إبراهيم ابنه على المذبح وأخذ السكين فعلياً ليذبحهُ، "إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضاً". لقد كان إيماناً على أعلى مستوياته، منتصراً على كل شك يمكن للفكر البشري أن يثيره، واتكالاً على الله الحي الذي هو إلهُ القيامة ليُجري فيه هدف نعمته العجيب. هكذا إيمانٍ ما كان له إلا أن ينال المكافأة والمجازاة.

الشخصية التالية التي يأتي ذكرها هي إسحاق نفسه، وحياته الهادئة غير الحافلة بالأحداث على نحو استثنائي فريد التي قد انقضت، وفيما يتعلق بالبركة التي مُنحت ليعقوب وعيسو بخصوص الأشياء الآتية أشرقَ إيمانه. ومع ذلك، إن قرأنا رواية العهد القديم فسيبدو وكأنه قد أخفق كلياً في تلك النقطة نفسها، ومنح ليعقوب فقط بركة إبراهيم لأن زوجته وابنه الأصغر تآمرا على خداعه. إلا أن البركة التي أُعطيت مرة لإسحاق يبدو أنها كانت تفوق مشاعره الذاتية وأولوياته، وأدرك أن الله كان يسيطر على الأمور، وهكذا فقد مَنح فيما بعد البركة ليعقوب بينما كان يعطي لعيسو بركةً أقل، وفي كلتا الحالتين أظهر إيمانه بالعهد الإبراهيمي. لربما نكون قد فكرنا بأن الإيمان كان في أشدِّ مرحلة من الانحسار في هذه الواقعة، ولكن وراء كل ميول إسحق المشوشة، أوضح الله أنه كان يتبين الإيمان الحقيقي في الطريقة التي بها بارك أولاده.

في حالة يعقوب أيضاً، أشرق إيمانه على أشد شكلٍ من الظفر وهو يحتضر. بعد حياةٍ متنوعة تمتزج فيها الرغبات الذاتية مع الخضوع إلى الله، تلك التي كان خلالها تحت التأديب الإلهي بسبب إخفاقه، كان يتمتعُ ببصيرةٍ نافذةٍ واضحةٍ لمستقبل شعبه عندما كان على وشك أن يترك هذا العالم، فبارك افرايم ومنَسّى جاعلاً الصغير قبل البكر بطريقة أظهرت حقيقة إيمانه، وهو يتعبد، وقد انحنى على عكازه. لقد أمضى ردحاً كبيراً من حياته عائشاً لأجل ذاته وقسطاً يسيراً منها عائشاً لله، ولكنه قضى عابداً منتصراً بالإيمان.

قد يبدو أمراً فريداً، عندما نفكر بالحياة الرائعة التي عاشها يوسف، وهو الرجل الذي تجلى فيه الإيمان على نحو لافت طوال الوقت، حتى أنه يجعل انتباهنا يتركز من جديد على شيءٍ حدث قبل وفاته تماماً. ولكن في حالته كان من الواضح أنهُ كان في أوج رحلة حجِّه برمتها. رغم أنه حقق سمعة عظيمة في مصر، إلا أنه كان يدرك أبداً أن موطنه لم يكن هناك وأظهر شخصية الترحال لديه إلى المنتهى ولذلك وعندما شارف على الموت، ذكّر أبناء إسرائيل بأن كنعان كانت ميراثهم اللائق، وأوصاهم بأن يحملوا معه عظامه عندما يغادرون مصر عائدين إلى الأرض التي أعطاها الله لآبائهم. قد يبدو هذا الأمرُ قليل الأهمية، إلا أن الله قد لفت انتباهاً معيناً إلى هذه المسألة في عدة نصوصٍ كتابيةٍ. ففي تكوين ٥٠: ٢٥ لدينا إشارة أخرى إلى هذه الوصية. ثم في خروج ١٣: ١٩ نعلم

كيف تم تنفيذ هذه الوصية عندما خرج حشد بني إسرائيل من مصر. وخلال كل تجوالهم في البرية كانوا يحملون عظام يوسف، رمزاً لنا بالتأكيد يدلنا على مسؤوليتنا الحالية "حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا"[1]. ثم نعلم من (يشوع ٢٤: ٣٢) كيف دُفِنَتْ عظام يوسف أخيراً فِي قِطْعَةِ الْحَقْلِ تلك الَّتِي اشْتَرَاهَا يَعْقُوبُ مِنْ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ، هناك لكي تستريح إلى صبيحة القيامة الأولى. إلى تلك كان يصبو إيمان يوسف على نحو واضح، وهذا ما مكّنه من أن يحافظ على تحالفه في مصر، رمزاً لهذا العالم الحالي الشرير. وهكذا تنتهي هذه السلسلة، وتبدأ سلسلة جديدة في الآية التالية.

القسم هـ. أصحاح ١١: ٢٣- ٤٠

خبرات إيمانية متنوعة من موسى إلى الأنبياء اللاحقين

إن موسى، مانح الناموس، هو الذي يشغل أعظم مكانة في هذا القسم، وفيه نرى الإيمان العامل تحت مختلف الظروف. رغم أن العناية (الإلهية) قد وضعته في بيت فرعون وربما جعلته وريثاً للعرش، إلا أن إيمانه أخرجه من المكان وأرسله إلى البرية. إذ أنه لَمَّا كَبِرَ، بعد تعلم حكمة المصريين لمدة أربعين سنة، أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، وإدراكاً منه لارتباطه بشعب العبيد، فإنه هرب من المصريين، واختار القفر مسكناً له. فمن شعب اسرائيل سيخرج المسيا، وبسبب إيمان موسى به، فإنه "فَضّلَ بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ". فأن يستمر في بلاط فرعون مذعناً للمكائد ضد اسرائيل سيعني، بالنسبة له، أن يقتني الطمأنينة والراحة الحالية على حساب الدينونة المستقبلية، إذ أنه رأى أن هكذا نهج كان آثماً بحد ذاته وأن ملذاته وقتية. إن عَارَ الْمَسِيحِ كان يحسبه غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ وأمجادها، لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ. إن سأل أحدهم بأي معنى كان (موسى) ليرى عار المسيح، فإن الجواب هو أن "المسيح" هو الكلمة اليونانية المقابلة لكلمة "مسيا". ولذلك فإن موسى قد ترك مصر لأجل المسيح. بالإيمان ترك (موسى) كل الامتيازات التي كان يتمتع بها هناك، ورغم تجاربه الشديدة، فإنه تَشَدَّدَ، كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى. بالإيمان فقط يُرى الله غير المرئي الذي يتجاوز كل الظروف. بإطاعة الإِيمَانِ صَنَعَ موسى الْفِصْحَ بحسب وصية الرب، هو وكل اسرائيل، فوجد ملتجأً بالدم المرشوش من دينونة الضربة الأخيرة. يا لها من صورة لذلك المكان المدهش الذي يشكّل ملاذاً يمكن أن يلجأ المؤمن الآن إليه بدم المسيح.

وكما أنهم قد افتُديوا بالدم، فبنفس الإيمان عملياً افتُديوا بقوة إذ ساروا بأمر الله، واجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ الأَحْمَرِ كَمَا فِي الْيَابِسَةِ، هذا الأمر الذي أخفق فيه المصريون، إذ أغرقتهم المياه الغامرة. الآية ٢٩ هذه توضح الفرق بين الإيمان والتسليم. فموسى وشعبه عبروا البحر الأحمر بالإيمان لأنهم ساروا في إطاعة كلمة الله. ولكن لم يكن للمصريين هكذا شهادة، بل سلموا بأن ما فعله الاسرائيليون يستطيعون هم أيضاً أن يفعلوه، وأدركوا خطأهم ولكن بعد فوات الأوان.

[1] - (٢ كورنثوس ٤: ١٠).

قاد يشوع، القائد الجديد، الشعب إلى الأرض حيث كان انتصارهم الأول إظهاراً آخر لقوة الإيمان، إذ سَقَطَتْ أَسْوَارُ أَرِيحَا بَعْدَ مَا طِيفَ الاسرائيليون حَوْلَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ولكن الكارثة نفسها التي جلبت الدينونة على شعب أريحا قد صارت وسيلة الخلاص لرَاحَاب الزَّانِيَة، التي انتصر إيمانها على الظروف القاسية غير المؤاتية، وأثار لديها الاهتمام بإله اسرائيل، ومنحها مكانة وسط شعبه، بل حتى أدخلها في علاقة مع أسلاف ربنا يسوع المسيح.

كان هناك أيضاً أبطال آخرون من العهد القديم لا يمكن عدّهم، هؤلاء كانوا مضرب مثل عن قوة الإيمان نفسها. يُشار إلى جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ بالاسم، وإنها لتعزية لقلوبنا أن نعرف بعضاً من هؤلاء. إذ أننا قد نشك في مدى نجاح الإيمان الحقيقي في حياة أشخاص مثل شَمْشُونَ وَيَفْتَاحَ وحتى بَارَاقَ إن لم تكن لدينا تلك الشهادة الإلهية بواقعية ارتباطهم بالله. تلك الجماعة الكبيرة من الأنبياء، أيضاً، تنضوي أيضاً ضمن هذه اللفافة الكريمة. إنه لمما يثلجُ الصدر أن نقرأ، في الآيات ٣٣ إلى ٣٨، عما منح هذا العالم لأولئك الذين سُرَّ الله أن يكرمهم. فبالإيمان قهروا أعداء الله والإنسان، وصَنَعُوا برّاً في عالم الخطيئة، ونَالُوا المَوَاعِيدَ لأنهم استحقوها بالإيمان. و سَدَّ بعضُهم أَفْوَاهَ أُسُودٍ، كما فعل دانيال وشمشون، وأَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ كما فعل الفتية العبرانيون الثلاثة، ونَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، كما حدث مع يهوشافاط، وآخرون كثيرون تَقَوُّوا مِنْ ضُعْفٍ، مظهرين بذلك أن القوة الإلهية تكمل في الضعف البشري. لقد صار أناسٌ بدافع الجبن أو الرعدة محاربين بواسل أشدّاء، وهزموا جيوش الخصوم الأقوياء المناوئين لشعب الله. وفي أكثر من مناسبة أخذوا أَمْوَاتَهُنَّ الأطفال بِقِيَامَةٍ، وآخرون ممن بدوا مهزومين هنا نالوا الظفر في نهاية المطاف، محتملين أشد العذابات من أجل الحق مفضلين ذلك على قبول النجاة المرتبطة بالتسوية، عالمين بشكل مؤكد أنهم سيُجازون في القيامة الأولى. ونعلم هنا أن آخرين قد تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ، وأن بعضهم رُجِمُوا ونُشِرُوا، على ما ورد في التقليد عن مصير أشعياء. لقد جُرِّبُوا بكل الأشكال، ومَات بعضُهم قَتْلاً بالسَّيْفِ، أو طُردوا بعيداً عمن يحبون، وطَافُوا قسراً فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ؛ ولكن الله نفسه قال عنهم أن "لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ".

كل هؤلاء مُكِّنوا من الانتصار بالإيمان، الذي هو، كما رأينا، الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى، وبما يُرتَقب في المستقبل، ولم يَنَالُوا الْمَوْعِدَ الذي كان الله قد وعد بأن يكون لهم. إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ بمشورته الإلهية أشياءَ أفضل في الدهر التدبيري الجديد لن تكمل حتى يومنا، قد تركهم يرتقبونها حتى بعد موت المسيح إلى أن يأتي إلى اكتمال البركة "لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا".

إن التعبير الأخير بالغ الإيحاء، وهو بحد ذاته دليل واضح على الوجود المُدرك الواعي للمؤمنين بين الموت والقيامة. أنى للمؤمنين في العهد القديم أن يُكْمَلوا عندما توفوا دون أن ينالوا الموعد إن لم يكونوا في حالة وعي وإدراك وهم في حالة أرواح محررة من الجسد؟ قد نستبق الأوان قليلاً إن لفتنا الانتباه إلى الآية ٢٣ من الأصحاح ١٢، ولكننا نجد الروح القدس هناك يؤكد على نفس هذه الحقيقة. لقد دخلنا نحن المسيحيون في انسجام مع "أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ". ما كان لقديسي العهد القديم أن يُكْمَلُوا فيما يخص الضمير إلى أن يسوي عمل المسيح

المكتمل مسألة الخطيئة، ولكن في اللحظة التي شُق فيها الحجاب، جاءت إليهم نفس البركة التي هي الآن نصيب كل من يؤمن بالشهادة التي أعطاها الله. فهؤلاء يُكْمَلُون إلى الأبد في عينيه.

بمعنى آخر، لعله يمكننا القول عن قديسي العهد القديم أن أرواحهم كانت جميعاً آمنة في حفظ الله؛ وخلاصهم الأبدي كان مضموناً بالتأكيد؛ ولكن العمل الذي يقوم على أساسه كل ذلك لم يكن قد تم بعد. لقد تم خلاصهم، إذا صح القول، بالائتمان.

الجزء ٥. الأصحاحات ١٢، ١٣

الحياة بحسب حقيقة الدهر الجديد

القسم أ. أصحاح ١٢: ١- ١٧

تحذير وحض على المثابرة

إذ نأتي إلى القسم الأخير من الرسالة نلاحظ كما في جميع رسائل بولس تقريباً أن لها علاقة بالنتيجة العملية التي يجب أن تتأتى عن إدراك الحق الذي تُظهره الأصحاحات التي سبقت. من أجل هؤلاء العبرانيين الذين من العهد القديم الذين اعترفوا باسم الرب، لقد كان في الواقع مطلباً خاصاً في دعوتهم للخروج من مخيم اليهودية، التي كانوا قد تطابقوا معها لفترة طويلة بعد إقرارهم بمسيانية الرب يسوع والخلاص الذي به. كانت الدينونة على وشك أن تقع على أورشليم وأولئك المرتبطين بعبادة أو بخدمة الهيكل. آن الأوان لأن ينفصلوا كلياً عن نظامٍ ما عاد الله يعترف به لأن ابنه الوحيد قد رُفض وصُلب. كل شيء قد صار الآن فارغاً من المغزى الذي كان قد كُرِّس لأجله ليكون رمزاً لشخص وعمل المسيح. محاولة إصلاح ذلك النظام أو استعادته وإحيائه كانت تعني أن له مكانة عند الله. ومن هنا كان هذا أمراً عبثياً. الطريق الوحيد أمام أولئك الذين يجب أن يكونوا مخلصين لله هي أن ينفصلوا عن اليهودية بشكل كامل، ولكن هذا الانفصال سيكون انتقالاً إلى ذاك الذي كانوا قد رفضوه.

وهنا يبدأ الرسول بولس يستخدم صيغة الطلب في خطابه: "لِنَطْرَحْ"، "لْنُحَاضِرْ"، ..... التي تدل على عمل النعمة، وهذه صيغة مختلفة عن صيغة الإلزام :"عليكم أن ......"، التي كانت تميز الناموس. فنجده يقول: "لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ". إذ نتأمل في هذه الآيات نجد السؤال يُطرح حول قصد الروح القدس من هذا التحريض الافتتاحي. إن "سَحَابَة الشُّهُودِ" تشير، من غير ريب، إلى أبطال الإيمان الذين ورد ذكرهم للتو في الأصحاح ١١، وينضوي تحتهم، بالطبع، كل من سار عبر العصور في طريق الاتكال على الله. هل يوحي لنا هذا بمشهد متفرجين في مدرّج يشاهدون أولئك المتنافسين الذين يتبارون في الميدان في الأسفل؟ لا أعتقد أنه من السهولة الإجابة على هذا السؤال كما افترض البعض. إن كلمة "شهود" يمكن أن تُستخدم بمعنيين مختلفين. فقد تعني "من ينظر" أو تعني "من يشهد". يبدو أن الكلمة هنا قد استُخدمت أصلاً للإشارة إلى المعنى الثاني، فالذين نقرأ عنهم في الأصحاح ١١ كانوا يشهدون على قوة الإيمان. من جهة أخرى، يبدو الرسول بولس بشكل واضح وهو يشير إلى أن هناك معنى بأننا محاطون بسحابة عظيمة من النظارة الذين ينظرون إلينا إلى الأسفل، بينما هم أنفسهم يشهدون بعظمة وفخامة حياة الإيمان. ولكن في جميع الأحوال، لقد عُني بذلك أن يكون رسالة تشجيع لأولئك الذين لا يزالون في موضع الاختبار، هؤلاء يُحرضون على أن يطرحوا كل ثقل والخطيئة المحيطة بهم. إنها ليست خطيئة شخص ما معين، على ما أعتقد، فتتكرر مع الجميع في جميع الأحوال. ولكن الخطيئة، كما أراها، تسعى لتوقعَ كلَّ مؤمن في شركها. إن خطيئة الجحود والشك يشار

إليها هنا بشكل خاص، لا ريب في ذلك، ولكن هذا يؤدي إلى أشكال مختلفة عديدة من الإخفاق. ما من قديس أو مؤمن هو على درجة عالية من القداسة إلا ويدرك أن لديه ميولاً محددة إن سمح لها بأن تتحكم به فإنها ستقوده إلى بطلان شهادته. للنجاة من الخطيئة المحدِقة علينا أن نلقي جانباً كل ثقل. الثقل ليس خطيئة بحد ذاته. إنه مجرد عائق أو عرقلة، شيء يعترض سبيل المتسابق. إن كنا نفكر في الخطيئة المحيطة كوحش ضار، وأن رجل الإيمان يركض في السباق المحدد له مع هذا الوحش الذي يطارده على الدوام وعلى نحو لصيق، فإننا يمكن أن نرى حالاً الصورة المذهلة التي يتم تصويرها هنا. فنحن الذين ينبغي علينا أن نتخلص من الخطيئة علينا ألا ندعها ترهقنا وتجعلنا ننهار بأثقال لا طائل لنا على تحملها. كل واحد يعرف فيما يخص نفسه عن هذه العراقيل التي يتم الحديث عنها. فعندما يتخلص المؤمنون من هذه الأثقال يستطيعون قادرين على أن يتركوا الوحش المفترس الذي يطاردهم. ولكن هكذا إنسان يكون لديه هدف أو غاية أمامه أيضاً، لكي يحافظ على شجاعته إلى النهاية؛ وهكذا فإن المؤمن مدعو لأن ينظر بثبات إلى يسوع الذي هو نفسه رئيس الإيمان ومكمله؛ ليس تماماً "إيماننا"، بل الإيمان عموماً. لقد كانت حياته هو حياة الإيمان بكل كمالها. نظراً إلى السرور الموضوع أمامه، السرور بأن يجعل خاصته المفتدين معه في المجد، احتمل أشد الألم على الصليب، مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، والآن، ومقابل كل ذلك، أجلَسَهُ الله كإنسانٍ على يَمِينِ العَرْشِ الأبدي. إن انتصاره هو انتصار لنا أيضاً وإننا ندرك اتحادنا به.

وإذاً ينبغي أن يكون الهدفَ أمام نفوس شعبه. وهكذا نقرأ: "تَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ" (الآية ٣). في ساعة وهن العزيمة عندما يشعر المرء بميل لأن يصرخ مع يعقوب: "صَارَ كُلُّ هَذَا عَلَيَّ" (تك ٤٢: ٣٦)، فارفع بصرك أيها المجرب، وانظر إلى ذاك الذي عرف هكذا حزن وكرب لن تذوقهما أبداً، ومع ذلك فهو جالسٌ الآن في أعالي المجد. ليكن غايةَ قلبك ومنيته. ليكن مسرةَ قلبكَ، وإذ تترفع عن الهموم والأحزان في اللحظة الحاضرة، ستتمكن من أن تركض دونما كلل أو ملل أو ضعف في ذاك السباق المخصص لك.

وإن خطر لك بالتجربة أنه ما من أحد آخر قد دُعيَ لاحتمال هكذا تجارب تتعرض لها، تعلّمْ أن تفكر في هذه الأمور بهدوء وتروٍّ، لأن الحقيقة التي تهم، هي أن هناك آخرين مروا بعذابات لا توصف لم تعرفها أنت نفسك. "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (الآية ٤). ليس المسيح هو المتكلم هنا، بل الحديث هنا عن أناسٍ لم يحبوا حياتهم كرمى للمسيح بل اختاروا الموت على أي تسوية مع الإثم. من الواضح أنه لم يُدعى أي قديس مؤمن بعد إلى هذا الاختبار العظيم والنهائي.

ثم من السهل أيضاً أن ينسى المرء المعنى المقصود من الوعظ القائل: "«يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. ٦لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ»" وهذا اقتباسٌ من الأمثال ٣: ١١، ١٢، ويُشدد عليه في أيوب ٥: ١٧ والمزمور ٩٤: ١٢. إنه يخبرنا أن التأديب هو لخيرنا ولصالحنا.

"ما من شيء يمكن أن يأتينا،
إلا ما تسمح به محبتُه".

إن كل ألم أو أسى يُسمح لأبناء الله بالتعرض له إنما قد أراده الله لهم للبركة. ليس التأديب عقاباً بالضرورة. بل هو تعليم بالتأديب. إنه طريقة يستخدمها الله لتعليمنا. لاحظوا أن هناك ثلاثة مواقف يمكن أن نتخذها إزاء تأديب الرب لنا. فقد نزدري بذلك. ومن يفعل ذلك إنما يقسّي قلبه ضد الله ويرفض أن يتعلم الدروس التي خُصص التأديب لتعليمه إياها. "مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟" (أيوب ٩: ٤). من جهة أخرى، قد يضعف المرء تحت التأديب. هناك نفوس مخلوعة الفؤاد تفقد شجاعتها عندما يأتي الضيق. ومثل "ضعيفي الإيمان" في "مسيرة الترحال"، ينهارون عن تعرضهم للتجارب. وبهذا يخسرون البركة أيضاً. إلا أن الآية ١٢ تعطي البديل الثالث، وسنأتي على ذكر ذلك في أوانه.

ويقول بولس: "إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ". إن الله يؤدّب أولاده، ويدّخر العاصي إلى يوم الدينونة كي يُعاقب. وبهذا نميّز بين ابن الله المرتد وبين من لم يعرف الرب حقاً بل أبدى اعترافاً ثم نكص راجعاً إلى العالم. الأول سيبقى أبداً تحت يد الله المؤدِّبة، إن تابع السير في تصلبه وعناده. أما الأخير، وحتى وإن بدا متحرراً من أي دليل على رفض الله له، فإنه بذلك إنما يُظهر حقاً أنه لم يكن ذاك الشخص المتجدد على الإطلاق، بل كان مجرد شخص حمل اسم الابن ولكنه لم يكن يستحقه أبداً.

كأولاد في العائلات البشرية على الأرض، لدينا آباء يصحّحون مسيرتنا وسلوكياتنا عادة ونقدم لهم كل تبجيل وتوقير. ومع ذلك فإنهم بعيدين على أن يكونوا معصومين عن الخطأ. لقد كانوا يؤدبوننا كما شاؤوا وارتضوا، أي إما كما رأوا على أنها الطريقة الأمثل في عهدهم، أو لأن سلوكنا كان من ذلك النوع الذي يسبب لهم الانزعاج. فكم بالحري أكثر ينبغي علينا أن نبجل ذاك الذي هو أبو كل الأرواح، الذي يؤدب فقط من أجل منفعتنا، ويرغب دائماً بأن نكون مشاركين له في القداسة. إنه ليس استبدادياً أو اعتباطياً في تعامله معنا.

إن التجارب التي نتعرض لها، في حكمته اللا متناهية، لا تقدم لنا مسرة أو فرحاً في الوقت الحاضر بل غالباً ما تكون قاسية ويصعب تحملها. ولكن التأديب "أَخِيراً يُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ". فهذا إذاً هو الموقف الثالث الذي لدينا نحو التأديب. إن تدربنا به، وأدنّا أنفسنا في حضرة الله، فإننا سنجد ثماراً غنية في حياتنا بنتيجة ذلك، وهذه ستكون لتسبيح الله وتمجيده. وهكذا يختتم القسم بالتحريض في الآيات ١٢، ١٣: "لِذَلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى". هذا يعني أن نترك المؤمن يسلك بانتباه بنفسه، وأن نفكر بأولئك الأضعف الذين يسعون ليكونوا مثالاً أكثر منه عائقاً، ولنحاول أن نشفي كل من وقع في الشرك وعرج عن طريق الإيمان.

قد لا نجد مثل هكذا حقيقة ذات فائدة على الصعيد العملي بالنسبة لنا أكثر من تلك التي نجد تجديداً أو تأكيداً عليها في هذه الآيات. على الأرجح أننا سنعزو كل ارتباكاتنا ومشقاتنا للأسباب الطبيعية وحسب، وهكذا نخفق في أن نتعلم الدروس التي خُصصت لنا من قبل الله الصبور والآب. وإلا فإننا على الأرجح سوف نأخذ كل الأمور على شكل غير مؤاتٍ، وهكذا نصبح مكتئبين في الروح، إذ تتملكنا فكرة أننا نُضرب على الدوام بالعصى بسبب إخفاقاتنا. ولكن كلتا النظرتين خاطئتين. إن الحقيقة هي في الحل الوسط الذهبي. بالنسبة لرجل الإيمان يجب

ألا يكون هناك أسباب ثانية. يجب أن يُنظر إلى كل شيء على أنه من يد الله وحتى عندما يُدعى المرء ليشارك في الضيقات التي يمر فيها العالم بمجمله، فإن المؤمن المذعن المستسلم لله سيدرك وجود يد الله في كل شيء. ولكن يده لا ترفع القصاص بالضرورة. إن فكر الله، وبنتيجة نفس الظروف التي يُدعى شعبه للمرور بها، هو في وجوب أن يعلم الناس بضعفاهم والخذلان الذي في قلبهم، وهكذا ينكبون عليه كلياً، وهو قوتنا وخلاصنا والذي مسرته هي في إظهار محبته الأبوية وعنايته بكل الذين يلتصقون به. علينا أن نكون متأكدين من ذلك. فعلى الأقل عندما نقف في حضرته سوف نشكره على كل خبرة خضعنا لها هنا على الأرض. وسنرى في كل حالات الخبرة والتجربة هذه أنه إنما كان يضع أمامنا فرصاً يُظهر بها حكمته ونعمته؛ ولكن ذلك لكي ندرك هذه بشكل صحيح، فكان لا بد أن نتعلم بأن قلوبنا مليئة بالحماقة والإثم. هذه الدروس التي نتعلمها تأتينا بثمار مباركة في حياتنا من النقاوة والبر. ونتعلم من هذه الخبرات، إذ نمر بها في حياة الشركة مع الله، أن ندخل في تعاطف إلى حياة إخوتنا، وهكذا نصبح مساعدين في إيماهم بدلاً من أن نكون معرقلين لهم وأحجار عثرة أمامهم. لا يجب أن يدين أحد الآخرين بقسوة، بل علينا أن نكون متسامحين ولطفاء، إذ نكون قد عرفنا بأننا غير جديرين بالثقة وفي حاجة إلى رحمة مضطردة، بينما نسلك طريق التجربة والاختبار تحت التأديب الذي يقدمه الرب لنا.

في الآيات الأربع التي يختتم بها هذا القسم نجد تحريضاً مرتبطاً مع تحذير جديد مهيب. في الآية ١٤ نقرأ: "اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ". من المهم أن نلاحظ في هذه الآية أننا لا نجد القول الإيجابي الذي يستعيض به غالباً عما كُتب أن "بِدُونِ الْقَدَاسَةَ لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ". فهذا التعبير قد يُساء فهمه أو تفسيره كلياً وقد أقلق حتى الانزعاج كثيراً من النفوس التي كانت ترغب بالقيام تماماً بما تقوله هذه الآية. إن التعليم كان يستند إلى حقيقة أن القداسة التي سماها البعض بركة ثانية، أو العمل الثانوي للنعمة، وأن أولئك الذين لا يمتلكون هذه الخبرة، ورغم أهم متجددون، سوف يخسرون في النهاية نفوسهم وسوف لن يروا الرب أبداً. ولكن هذا بعيد الاحتمال حقاً، وليس هناك ما يؤيده في النص بحد ذاته. في الواقع، العكس تماماً هو الصحيح. إننا نتبع ما هو أمامنا دائماً. عندما نصل إليه لا نعود نتبعه. وهكذا فإننا مدعوون هنا لأن نتبع أمرين، أحدهما موجه إلى الإنسان والآخر موجه إلى الله. فأولاً، علينا أن نتبع السلام مع الجميع. أي علينا أن نضع ذلك هدفاً في تعاملنا مع إخوتنا البشر. من الجلي الواضح أننا لن نصل إلى ذلك بالمعنى الكامل. حتى ربنا المبارك نفسه، ورغم أنه كان يكرز بالسلام، لم يكن ليجد جميع الناس مستعدين ليكونوا في سلام معه. والمؤمن، مهما كان جدياً في سعيه وراء المثل، سيظل يجد أناساً يرفضون أن يعيشوا مسالمين. أما نحو الله، فعلينا أن نتبع القداسة. وذلك بأن نجعلها (أي القداسة) وجهة حياتنا. علينا أن نسعى دائماً لأن نصبح مثله أكثر وأكثر، وهو ذلك القدوس. في معزل عن ذلك، ما من إنسان، مهما كان اعترافه بالمسيح، سيرى الرب. ومن هنا فإن الآيات التي تلي ذلك توضح أنه إن كان هناك أي إنسان في الجماعة المسيحية، ورغم اعترافه، يخذل نعمة الله في عدم إتباعه للسلام مع الناس والقداسة نحو الله، فإنه بذلك يقدم دليلاً على أنه لا يزال شخصاً دنيوياً دنساً؛ أي أنه لا يزال في وقاحة المرارة وتحت نير الإثم. ولذلك يُطلب إلينا أن نبدي اهتماماً جدياً شديداً لئلا ينطبق هذا على أي منا ولئلا يطلع أصل المرارة من خلال وسائلنا وطرقنا وبها يتنجس كثيرون. هنا الإشارة إلى تثنية ٢٩: ١٨، حيث حذر الله بني إسرائيل من الخطر الذي يمكن أن تتعرض له الجماعة المحتشدة للصلاة إن كان أي فرد أو عائلة أو عشيرة بينهم تسقط في فخ عبادة الأوثان. فهذا سيتبين بشكل مؤكد أنه "أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجاً"، فيلحق كارثةً بكل

الشعب. إذ "خَاطِئٌ وَاحِدٌ يُفْسِدُ خَيْراً جَزِيلاً" (الجامعة ٩: ١٨). فكما يقول العهد الجديد: "الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ" (١ كو ١٥: ٣٣). وهذا كان الزنى الوارد ذكره في ١ كو ٥، ولدينا في العهد القديم مثالاً مشابهاً وذلك في عيسو الذي كان زانياً رغم كل امتيازاته، إذ كان يفكر في إرضاء مسراته الشخصية والجسدية أكثر من البركة الروحية المستقبلية. ولكن جاء اليوم الذي تاب فيه بمرارة عن حماقته وحاول أن يقنع والده بأن يغير حكمه ويمنحه البركة التي طالما كان يزدري بها سابقاً، ولكنه لم يجد مكاناً للتوبة في فكر إسحاق، مع أنه بكى أمامه وتوسل إليه كثيراً. ليس الأمر أن عيسو لم يستطع أن يتوب عن حماقته، مع خسرانه للبركة الخاصة ولصالحه؛ بل لأنه لو أُعطيت البركة ليعقوب لن يكن هناك أي تغيير "لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ". إن التحذير مهيب شديد للغاية، إذ ما من شك أن كثيرين في ذلك الزمان، كما الحال مع كثيرين متداخلين مع شعب الله في زماننا، لم يدينوا الجسد على ضوء صليب المسيح. وسيستفيق كثيرون من غفوة حماقتهم ولكن عندما يكون الأوان قد فات للحصول على البركة التي كانت تبدو لهم بلا قيمة قبلاً.

القسم ب. أصحاح ١٢: ١٨- ٢٤

التغايرات الشديدة بين الزمنين

في الآيات ١٨ إلى ٢٤ يغاير الروح القدس بشكل قوي بين الملامح البارزة لكلا العهدين أو الزمنين بما يخص العهدين القديم والجديد. ها هنا استحضار لدائرتين متمايزتين بشكل واضح. في الدائرة الأولى نجد كل أولئك الذين لا يزالون يستندون على العهد السينائي، ولذلك فهم تحت اللعنة، كما كُتِبَ: "«مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»" (غل ٣: ١٠). أما في الدائرة الثانية فأولئك الذين بالنعمة نالوا بركة العهد الجديد بالإيمان بالمسيح وعمله المكمَّل المنجز.

ونقرأ: "لأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلاَمٍ وَزَوْبَعَةٍ، وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ". هل من كلمات أقوى من هذه يمكن أن تعبر عن أنه ما من بركة دائمة يمكن أن تصيب الإنسان الساقط من خلال الناموس؟ إن الظروف نفسها التي أعطِيَ بها ذلك الناموس الصارم سوف تجعله يدرك عجزه الكلي عن تحقيق متطلباته، وهكذا يأتي إلى أن يتكل على نعمة الله التي لا مثيل لها، والتي يمكنها وحدها أن تُعنى بالخاطئ الذي تتعارض طبيعته الساقطة تماماً مع إرادة الله. ولكن بني اسرائيل، ورغم أنهم ينكمش خوفاً ورعدة من تجليات القوة الإلهية، كانوا يقولون وهم واثقون من أنفسهم: "«كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ»" (خر ٢٤: ٧)، وبهذا كانوا يجعلون أنفسهم مسؤولين عن إطاعة كل وصية لكي يدخلوا إلى البركة. ومع ذلك يعلمنا بولس أنهم "لَمْ يَحْتَمِلُوا مَا أُمِرَ بِهِ، وَإِنْ مَسَّتِ الْجَبَلَ بَهِيمَةٌ تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ. وَكَانَ الْمَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفاً حَتَّى قَالَ مُوسَى: «أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ!»". إن جُعِلَ أدنى مخلوق خاضعاً للزهو من جراء خطيئة الإنسان حتى ليمس الجبال، وإن كان موسى، الذي كان يُعتبر أفضل مَنْ في اسرائيل، يرتجف لفكرة دنوّه من الله خلال هكذا ظروف، فأي رجاء كان ليمكن أن يكون لدى أي إنسان عادي يقف أمام الرب على أساس البر الناموسي؟

ولكن على أساس النعمة في العهد الجديد، إن كل من يؤمن بالرب يسوع المسيح يأتي إلى منزلة مختلفة كلياً، دائرة عجيبة مدهشة من البركة تقوم كلياً على أساس دمه المسفوك، هو الذي جُعل لعنةً من أجلنا لكي يخلّصنا من لعنة الناموس. لاحظ المفردات المختلفة التي يأتي ذكرها في الآيات الثلاث التالية.

أولاً، "قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ". وفي هذا إشارة إلى نعمة الله الانتقائية الحرة. ونقرأ في المزمور ٧٨: ٦٨: "اخْتَارَ سِبْطَ يَهُوذَا جَبَلَ صِهْيَوْنَ الَّذِي أَحَبَّهُ". عندما كان هناك تعطل كامل تحت النظام السابق، علّى الله داود، الرجل الذي كان حسب قلبه، إلى منصب ملك اسرائيل، وأكد الوعود له ولنسله من بعده، وأسس عرشه على جبل صهيون، هذا الذي لن يزول إلى الأبد (مز ١٢٥: ١). "مِنْ صِهْيَوْنَ كَمَالِ الْجَمَالِ اللهُ أَشْرَقَ" (مز ٥٠: ٢). ومن ذلك الجبل المقدس سوف تنتقل البركة إلى كل البشر، وأخيراً في يوم قوة الرب "الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ" (يوئيل ٣: ١٦)، و"مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ"، وذلك عندما "يَأْتِي الْفَادِي إِلَى صِهْيَوْنَ" وتتحقق كل وعود الله المجيدة عندما "يحكم الرب في جبل صهيون". فسيكون مركز بركة عهد جديدة في ذلك اليوم العجيب. أما بالنسبة لنا، في الزمن الحاضر، فالحديث هو عن نعمة خالصة تحل محل العهد الناموسي. فلسنا قادمين إلى جبل سيناء، جبل الناموس، بل إلى صهيون، جبل النعمة.

ثانياً، "إلى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ". هذه لا يجب الخلط بينها وبين المدينة الأرضية للملك العظيم التي ستكون مع ذلك بهجة لكل الأرض، لأن نصيبنا ليس في هذا العالم حتى عندما يملك المسيح بنفسه، بل إننا سنملك معه من أورشليم السماوية في الأعالي. وهذه بالطبع أورشليم الجديدة، العروس، عروس الحمل التي يحكي عنها رؤيا ١٩ و ٢١. إنها تحتضن كل قديسي السماء، أي كل من مات مؤمناً طوال العصور، كل من آمن بالله على مر الأزمان وبالتالي أثاره روح الله وأحياه. إن أورشليم الجديدة هي وطن الكنيسة ولذلك هي معينة لتكون مدينة العرس؛ ولكن المؤمنين في كل الأزمان التدبيرية الأخرى الذين قضوا بالموت ودخلوا إلى حياة القيامة سوف يكونون، كما قال أحدهم، مستنداً على "مخطوطة بيرجس". أورشليم السماوية هذه ستكون كرسي عرش كون الله برمته.

ثالثاً، لقد أتينا إلى "رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ". في ترجمة أخرى يأتي القول "مجتمعين عامةً"، وتشير بلا شك إلى وجود الملائكة وليس، كما يرد فيما يلي ذلك، إلى "أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ". بمعنى آخر، لقد أتينا إلى صحبة مباركة مع كل المجتمعين من الملائكة المنتخبين الذين يجدون مسرتهم في تحقيق إرادة الله، هؤلاء الذين يعلمون بإرادته من خلال كنيسته.

ورابعاً، لقد جُعلْنا أعضاء في "كَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ". ونلاحظ أن كلمة أبكار هي في صيغة الجمع. فالإشارة ليست إلى المسيح شخصياً، بل إلى كل الكنيسة التي تُدعى "كَنِيسَةِ أَبْكَارٍ" تمييزاً لهم عن بقية المؤمنين (القديسين) الذين سيُدعون ويخلصون لاحقاً.

خامساً، لدينا "إِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ". ليس من حجاب فاصل الآن وليس من غمامة من ظلام تحجب وجهه؛ بل إننا في بر مبارك وبدون ما خجل، نقف في حضرته المقدسة عارفين أن مسألة الخطية قد سُوِّيَتْ لأجلنا وإلى الأبد وأن محبته الكاملة قد طردت كل الخوف.

سادساً، لدينا "إِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ". وهؤلاء بالتأكيد هم الأرواح الواعية المدركة لقديسين المؤمنين في الأزمنة الدهرية السابقة. إنها ليست راقدة (نائمة)، كما تخيل البعض، بل كلها تحيا له. ولكن ما كان ليمكنهم أن يتحدثوا عن فداء كامل قد أُكمل إلى أن مات المسيح وقام. يمكن القول أنهم خلصوا، على الحساب، إذ أن الله قد غفر لهم على أساس العمل الذي كان ابنه المبارك نفسه سينجزه. أما وقد اكتمل هذا العمل الآن، فإنهم يكملون معنا بمعنى أنهم يبتهجون من جرّاء تسوية مسألة الخطيئة.

سابعاً، "إِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ". لم يكن هذا إنساناً عرضة للخطيئة كما موسى، الذي، وبسبب إخفاقه، كان قد مُنِعَ من دخول أرض الموعد. إن المسيح يسوع، ابن الله الأزلي السرمدي، الذي صار إنساناً كاملاً ليأخذ على نفسه خطيئتنا وتبعاتها، هو الذي حقق مطاليب الناموس الذي تم تعدّيه وهو الآن يتوسط العهد الجديد للنعمة المجانية إلى البركة التي جيء بنا جميعاً إليها.

ثامناً وأخيراً، "إِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ". دم هابيل ذاك، الشهيد الأول، كان يصرخ من الأرض طالباً الانتقام، ولكن، كما تقول الترنيمة:

"إن دم يسوع يصرخ من الأرض والسماء،
طالباً الرحمة، والرحمة الغزيرة".

لم يَمُتْ (المسيح) كشهيد على يد إنسان مذنب مُدانٍ، بل قدّم نفسه قرباناً على الصليب لأجل فدائنا. بإقامتنا واحتفالنا بعشاء الرب، تذكار هذا الفداء، نقرأ أن (المسيح) "أَخَذَ الْكَأْسَ، وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا". ذاك الدم الثمين يدل على حياته الكاملة التي كانت خالية من الخطيئة وقد سُفِكت قرباناً لأجلنا. بفضل عمله الذي أكمله صار في مقدور حتى من له "أضعف الإيمان" أن يقف أمام الله الآن وينال كل تلك البركات.

"والآن فلنقترب من عرش النعمة،
لأن دمه والكاهن هما هناك.
وبالفرح نطلب وجه الرب القدوس،
وقد قربنا بخور التسبيح والصلاة".

"فالجبل المحترق والحجاب الفاصل،
قد مضى ومعه مخاوفنا وإثمنا.
وها قلبنا ينعم بالسلام الذي لا يخزى،
فالحمل هو هناك في الأعالي متربعاً على العرش".

القسم ج. أصحاح ١٢: ٢٥ـ ٢٩

تحذير شديد من نبذ الحق الحاضر

استناداً إلى هذا الإعلان عن بركة العهد الجديد لدينا التحذير الجديد المهيب الذي يُختتم به هذا الإصحاح. لقد لاحظنا للتو أنه كلما تم الكشف عن أي خيط من الخطيئة بشكل كامل واضح، يتبعه تحذير مباشرة من مخاطر تجاهل هذه الحقيقة أو ارتداد عن هذا الكشف من السماء. ولذلك فبالنسبة لهؤلاء العبرانيين الذين كانوا على معرفة وإطلاع على إعلانات الرب يسوع، ولكن بعضهم ربما لم يقتبلوه حقاً في قلوبهم، إذ يقول الروح: "اُنْظُرُوا أَنْ لاَ تَسْتَعْفُوا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ لَمْ يَنْجُوا إِذِ اسْتَعْفَوْا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى الأَرْضِ، فَبِالأَوْلَى جِدّاً لاَ نَنْجُو نَحْنُ الْمُرْتَدِّينَ عَنِ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ" (الآية ٢٥). كلما عَظُمَ الامتياز كلما كبُرت خطيئة رفض الرسالة. إن كان الله أدان بصرامة هؤلاء الذين رفضوا الإعلان المعطى لهم في العهد القديم، فكم سيكون سخطه ونقمته على أولئك الذين يرفضون نعمته الحالية في المسيح؟ عندما أعطى العهد القديم على جبل سيناء كان صوته يهز الأرض، ولكن الآن يتحدث عن زمان عندما سيهز ليس الأرض فحسب بل السماء أيضاً. إنه يستشهد بالآية (حجاي ٢: ٦): "لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هِيَ مَرَّةٌ (بَعْدَ قَلِيلٍ) فَأُزَلْزِلُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابِسَةَ".

يلفت الرسول بولس انتباهنا بشكل خاص إلى التعبير الاستهلالي الذي يبدأ به. فيقول أنه لم تحدث لديهم رعدة في ذلك الوقت، ولكن "قَوْلُهُ «مَرَّةً أَيْضاً» يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ الأَشْيَاءِ الْمُتَزَعْزِعَةِ كَمَصْنُوعَةٍ، لِكَيْ تَبْقَى الَّتِي لاَ تَتَزَعْزَعُ" (الآية ٢٧). لا نقولنّ أن تلك الزعزعة لم تبدأ بعد، إذ أنها ستستمر إلى تتناثر إلى أشلاء كل تلك الأشياء التي مجّدها الإنسان، ومنها سيتعلم المرء مثل نبوخذنصر أن القدير العليّ يسود في ملكوت البشر.

لقد دخل المؤمنون لتوهم بالروح إلى هذا، "لِذَلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتاً لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى. لأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" (الآيتان ٢٨، ٢٩). ليس الأمر، كما يقول الناس في معظم الأحيان، أن الله نار آكلة خارج المسيح، أو أنه نار آكلة فقط لغير المخلصين، بل الحديث هنا هو عن طبيعة الله نفسها. النار الآكلة هي القداسة وقد تجلت في الدينونة، والله، الذي هو نور ومحبة، لا بد له أن يلتهم كل ما يتعارض وإرادته المقدسة. هذا سيعني للمؤمن تطابقاً كلياً مع المسيح في نهاية المطاف، عندما سيزول كل أثر للجسد. في هذه الأثناء علينا أن نسلك في النعمة طالبين الخدمة في جدة الروح وليس في قِدَمِ الحرف.

القسم د. أصحاح ١٣: ١ـ ٦

تحريضات متنوعة

الجزء العقائدي من الرسالة انتهى الآن ويقدم لنا الإصحاح الأخير، كما هي العادة في كتابات بولس، تحريضات تتعلق بسلوك أولئك الذين تمسكوا بالإيمان بالحقيقة التي أُعلنت لهم حتى الآن. هنا يجري التأكيد على المحبة الأخوية. أولئك الذين اجتُذبوا إلى المسيح وسط عالم يرفضه ويرذله يجب أن يتميزوا بالمحبة نحو بعضهم البعض. ولكن للأسف كم نحن بعيدون في معظم الأحيان عن هكذا محبة أخوية.

ثم يأتي تحريض على إظهار حسن الضيافة للغرباء، وأيضاً على زيارة خدام المسيح أولاً قبل كل شيء، ثم بالطبع زيارة بقية الأخوة من أبناء الله الذين قد يكونون في حاجة لضيافة لطيفة وهم يجتازون من مكان إلى آخر، وخاصة أولئك الذين كانوا يهربون من الاضطهاد. من بين القدماء، البعض الذين سلكوا بلباقة نحو أناسٍ ظنوا أنهم عاديين، نالوا امتيازاً مبجلاً إذ تبين لهم أن ضيوفهم الذين يخدمونهم إنما كانوا ملائكة.

كان الكثيرون قد ألقيوا مقيدين في السجون من أجل المسيح. وكان على المسيحيين المؤمنين القديسين أن يتذكروهم وأن يُبقوا في ذاكرتهم وفكرهم كلَّ أولئك الذين كانوا يعانون مهما كان السبب، لأنهم أنفسهم لا يزالون في الجسد ولذلك معرضون لهكذا معاناة مشابهة. ما من أحد كان ليعرف متى سيأتي دروه ليحتمل الضيقة والأسى كُرمى لذلك الاسم الجدير بالإكرام.

على النقيض من الأفكار اللا أخلاقية المتحررة الخليعة التي كانت مألوفة في ذلك الزمان، بل وحتى في أيامنا حالياً كما يؤمن البعض دونما خجل، كان يجب اعتبار الزواج أمراً جديراً بالاحترام بسبب العلاقة المقدسة القائمة فيه، وأن يُحفظ في الطهارة والنقاوة، على أساس المعرفة الأكيدة بأن أولئك الذين كانوا ينتهكون عهد الزواج سوف يحاسَبون أمام الله على خطيئتهم.

كان على المسيحي أيضاً أن يحيا حياة مستقيمة هادئة، فلا يشتهي ما هو للغير، بل عليه أن يقنع بما قسم الله له، عالماً أنه في المسيح ذاته قد مُنح أكثر مما كان أي أرضي محب للدنيا ليتمنى أو يدرك. كان يكفيه الوعد أن "«لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ»". فهل من شيء أعظم يمكن أن يرغب به إلى أن يأتي اليوم الذي يُدعى فيه للرجوع إلى وطنه (الحقيقي) ليكون معه إلى الأبد. ومن هنا يمكن لكل مؤمن أن يهتف بثقة إيمانية صارخاً: "«الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟»". لقد أحسن أحدهم القول بأن "الله بديلي في كل شيء، ولكن ما من شيء يعوض عن الله".

"في حلقة منّة الله تلك،
حلقة محبة الله،
يستريح الجميع، وتكون راحتهم أبدية،
لأن كل ما هو فوق كاملٌ.

كم هي مجيدة ومباركة كلمة "إلى الأبد"،
نعم "إلى الأبد".
ما من شيء يمكن أن يفصلنا عن الله،
ما من شيء يبعدنا عن الرب الإله".

القسم هـ. أصحاح ١٣: ٧- ٢١

الدعوة إلى الانفصال التام عن النظام القديم، اليهودية

إن كان اعتقادنا صحيحاً، رغم زعم كثيرين عكس ذلك، فإن بولس هو الذي كتب هــذه الرســالة، ويمكننا أن نفهم تماماً كم كان مهماً طلبه المُلحّ بالانفصال الكامل عن النظام القديم، الذي زال مجده منذ رفض ابن الله. إن الغيوم السوداء الداكنة للدينونة كانت تُخيم على علوٍ خفيض فوق أرض فلسطين. وما كانت إلا برهــة وجيزة وتتحول المدينة المقدسة إلى كومة رماد وركام. ولن يتصاعد الدخان بعد من القرابين فوق المذابح اليهودية. إضافة إلى ذلك، فإن معظم أصحاب ورفاق بولس الرسول كانوا إما قد دُعيوا إلى الوطن الســماوي أو كــانوا يعملون بكدٍ وجهد في أراضٍ بعيدة. كان بولس نفسه على وشك أن يستشهد تحت ضربة فأس الجــلاد الــذي سيقوم بإعدامه. ومع كل هذه الأشياء التي تُثقل على نفسه، يحثّ المؤمنينَ من أصل عبراني على أن يلجــأوا إلى قطيعة كاملة مع ذلك النظام الذي رفض رب المجد.

في أول الأمر يدعوهم إلى أن يتذكروا أولئك الذين كانوا مرشدين لهم في الأيام الخوالي، الذين علّموهم كلمة الله، إذ في الآية ٧ هنا، من الواضح أنه كان في فكره أولئك الذين ما عادوا معه. عليهم أن يتذكروا قادتهم في الماضي وأن يتمثلوا بإيمانهم متفكرين بالنهاية أو نتيجة سيرتهم في الحياة. هؤلاء الناس عانوا من أجــل المســيح وجاهدوا مزدرين بسرور بكل فكر بمناصب أرضية دنيوية لكي يتمجد في حياتهم. هدف إيمانهم كــان يســوع المسيح، الذي هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ؛ المسيح الذي لا يتبدل أبداً رغم أنه يسكن وسط عوالم متغيرة بل يبقى بغية قلب شعبه. من المهم أن نتذكر أن هذا لا يدل ضمناً على أن ظهورات الرب كانت دائماً هــي علــى نفس الشكل. "هناك اختلافات في التعامل، ولكن الرب يبقى نفسه". إنه لا يسلك على نفس المنوال في كل زمان تدبيري، بل يسكن هو نفسه في الشخص. إن أبقى المسيحيون هذا في فكرهم على الدوام، فــإن الأشــياء لــن تتشوش بعد أن أعلنها الله وميزها بشكل واضح. فعلى سبيل المثال، غالباً ما يقول هؤلاء الذين لا يفكرون بشكل واضح، أنه بسبب شفاء الرب لكل المرضى الذين جاؤوا إليه عندما كان هنا على الأرض، فإنــه (أي المســيح) سيفعل المثل اليوم لكل أولئك الذين يطلبون مساعدته، لأنه "هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ". من الغريب أنهم لم يذهبوا أبعد من ذلك، بل يصرون على أنه سوف يقيم الموتى ويعيد لهم أولئك المحبوبين الآن كما فعل ثلاث مرات عندما كان هنا على الأرض، هذا التشوش في الفكر يجب تحاشيه إن أمكن إدراك الفروقات بين مختلف الفتــرات بشكل واضح.

التحذير التالي ضد التعاليم المغلوطة. فمنذ بدايات المسيحية ظهر أناسٌ في الجماعات المسيحية وخاصة في التجمعات اليهودية، وهم يقدمون تعليماً جديداً وخاطئاً، كان لا بد من توجيه تحذير للتلاميذ ضده. بعض هؤلاء كانوا يستندون بشكل كبير على الوصايا الموسوية والربانية اليهودية المتعلقة باللحوم والطقوس الدينية التي كانت مرتبطة بخدمة الهيكل ولم يكن لديها مكان مناسب أو صحيح في التدبير المسيحي.

ولذلك يكتب قائلاً: "لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَا".

والآن في الآيات ١٠ إلى ١٤ لدينا الوصية المباشرة لأن يخرجوا من محلة (مخيم) اليهودية إلى انفصــالٍ وتكرسٍ مقدسٍ مع الرب يسوع نفسه. لدينا مذبح، كما يقول لنا، حيث ليس لأولئك الذين يخدمون في المسكن

(مكان العبادة) الحق بأن يأكلوا فيه؛ أي أن مذبحنا وخدمتنا هي ذات طابع إلهي سماوي مقدس. بما أن المسيح قد مات فما عاد هناك مذبح على الأرض؛ أما في السماء، حيث يشير المذبح الذهبي رمزياً، فإنه يسكن هناك حيث يتشفع بنا. إن تحدثْنا عن أي مذبح آخر، كما يحدث في الكثلكة على سبيل المثال، وبعض الطوائف البروتستانتية، فهذا يعني أن ننكر حقيقة عمل المسيح المنجز الذي أُكمل.

"ما من دمٍ يُرشّ، وما من مذبحٍ الآن،
فزمان القرابين قد انقضى.
وما من لهيب نار أو دخان يتصاعد إلى العلاء،
وما عاد من حاجة لأن تُذبح الحِمْلان من بعد".

في الوقت الذي كان الله يعرف ويميز طقوس العهد القديم، كانت الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيَّةِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِيَدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، عند تقديم ذبائح الخطيئة لله، تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. تحقيقاً لهذا الرمز، "يَسُوعُ أَيْضاً، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ" أي لكي يفرزهم لله بكل قيمة عمله الكفاري، فإنه "تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ". لقد لجأ إلى خارج المحلة ليتحمل الدينونة التي كانت تستحقها خطايانا، والآن نضع عليه إيماننا، وهو المنبوذ المرذول،كمخلص لنا، ونعترف به رباً لنا. ولكي نكون صادقين ومخلصين لدعوة الله، علينا أن نتمثّل به حَامِلِينَ عَارَهُ، ولذلك يقول الرسول بولس: "فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ".

كانت هذه لتعني العبرانيين أكثر من أي مؤمن يأتي لاحقاً لم يكن على تلك الدرجة من الارتباط بنظام ديني من رسم إلهي وجاء اتلله فيما بعد وتبرّأ منه. إن أعمق مشاعر قلوبهم، حتى عرفوا المسيح، كانت متعلقة متيمة بذلك النظام الديني، ولكن بولس، بحديثه كيهودي إلى أولئك الذين كانوا مثله قد عرفوا مسيانية يسوع، يقول: "فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ". لقد كان هذا تحدياً لهؤلاء المسيحيين من أصل عبراني. لقد كان هذا يعني تحطيم أقوى العلاقات وأمتن الروابط، وسيؤدي من غير شك إلى سوء فهم مميت، ولكن ما من وسيلة أخرى كانت أمامهم ليكونوا أوفياء مخلصين لذاك الذي كان الشعب اليهودي قد رفضه ورذله، ومع ذلك اشتراهم بدمه. يجب عليهم أن يتمثّلوا بإيمان أبيهم إبراهيم، الذي ترك بيته وأرضه وعشيرته لأنه كان ينشد مدينة أساساتها بانيها وباريها الله.

ليس من حاجة كبيرة لأن أركز على حقيقة أن هذه العبارة "فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ" قد أُسيء استخدامها وفهمها لدرجة كبيرة من قِبَل كثيرين استندوا عليها كأساس للانفصال عن المسيحيين الأتقياء مثلهم على اعتبار أنهم إن كانوا لا يتساوون ويتطابقون معهم في الفكر فإنهم سوف ينشئون المحلة (المخيم) بأنفسهم. لكن الرسول (بولس) إنما يتحدث عن الانفصال عن اليهودية، وليس عن العالم المسيحي، والحمد لله. وهذا، ورغم انفصاله عن حقيقة العهد الجديد في بعض النواحي، إلا أن الله لم ينكره بعد.

إذ أقول ذلك، فأرجو ألا يسيء أحدٌ فهمي ولو لوهلة فيظن أني أتغاضى عما هو شرٌ وإثمٌ عُرْفاً. ولكن لا أعتقد أنه يمكن التأكيد بقوة على أنه ليس من أساس في هذا النص الكتابي للخيلاء في الكنسية من أي نوع كانت.

إن الدمار والإخفاق هما في كل مكان، وإن الدعوة هي إلى الاعتراف بتواضع ودينونة الذات، لا إلى غرور وخيلاء المكانة.

بعد ذلك لدينا آيتين تستحضران أمامنا الطريقة القيّمة التي يتمتع المؤمنون–الكهنة بتقديم الذبيحة بها. فلا يجب أن ننسى أن جميع المسيحيين هم الآن مقدسين وكهنوت ملوكي. فكوننا كهنة ملوكيين علينا أن "نُقَدِّمْ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ". إن كهنوتنا فيه جانب بشري وجانب إلهي، ومن هنا وجوب الحفاظ على التوازن المميز في كلمة الله.

لقد رأينا في الآية ٧ كيف دعا الكاتب القديسين إلى أن يتذكروا مرشديهم في الأيام الخوالي. والآن في الآية ١٧ يشدد على وجوب إطاعة أولئك الذين يعتنون بهم في الأمور المقدسة أو الإلهيات: "أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ". السلطة الروحية الحقيقية يجب أن تتجلى في العناية الرعوية بشعب الله، وعندما يعطي رأس الكنيسة موهبة الرعاية، فإنها تكون لبركة الجميع. التباهي بهذه الموهبة أو رفض الاعتراف بها يعني تجاهل واحتقار الرأس نفسه. من جهة أخرى، أن تخزي موهبة الرعاية بما يسمى النظام الإكليريكي هو أمر غير كتابي على الإطلاق. ليس مقدار التدريب أو الاعتراف الكنسي هو ما يجعل الإنسان راعياً. بل رأس الكنيسة نفسه هو من يمنح هذه "الموهبة" لشعبه.

في الكتابات البولُسية (أي التي كتبها بولس الرسول) هناك عادة لديه وهو أن يطلب من المرسل إليهم أن يذكروه في صلواتهم. يا له من أسلوب مميز لبولس! يقول هنا: "صَلُّوا لأَجْلِنَا، لأَنَّنَا نَثِقُ أَنَّ لَنَا ضَمِيراً صَالِحاً، رَاغِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَناً فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَكِنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا لِكَيْ أُرَدَّ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ". وفوق كل ذلك، كان يشعر أنه على جميع الأحوال سرعان ما سيوقّع شهادته بدمه. فإن أمكن بفعل الصلاة أن يعود إلى الخدمة لبرهة من جديد، فإنه سيقدّر ذلك، وسيبقى في كل الأحوال خاضعاً لإرادة الله. من يستطيع أن يعرف إلى أي مدى يكون خادم الله مديناً لصلوات من يطلب إلى الله من أجله في الخفاء؟ إن كان يرى هذا نصب عينيه فإنه سيقوم بخدمة رائعة ستظهر ثمارها فقط في ذلك اليوم الذي سينكشف فيه كل ما هو مستور وفيه سيُجازى كلٌّ حسب خدمته. فلا يستهيننّ أحدٌ بمفعول الصلاة. فليس من خدمةٍ أعظم أو منصبٍ أهمّ من تلك التي للشفيع (الذي يصلي لأجل الآخرين).

منح البركة، هذا الأمر الجميل، في الآيات ٢٠، ٢١ يختم به بولس رسالته. كم تلفّظ الناس بهذه الكلمات على مدى القرون! وكم تدخل في عذوبة إلى قلب كل مؤمن! "وَإِلَهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ، لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ". كم هو مبارك هذا اللقب: "إِلَهُ السَّلاَمِ"! يتكرر ذكره في مواضع أخرى في العهد الجديد، كما نعلم، وهو يشير إلى السلام الذي تحقق بالدم المسفوك على الصليب والذي على أساسه يخاطب الله بالسلام كل من يؤمن بابنه. بقيامته من بين الأموات، فإن ذاك الذي الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف وأراق دمه لفدائهم، وبهذا وقّع عهداً أبدياً، قد جعله الله

نفسه رباً ومسيحاً. وإذ رُفّع إلى يمين الآب، فهو الآن رَاعِي الْخِرَافِ الْعَظِيم الذي يقود خرافه المختارين خـــلال برية هذا العالم. وسرعان ما سيعود بالمجد كرَئِيس رعَاةٍ، على حد قول القديس بطرس (١ بطرس ٥: ٤)، الـــذي يجب على جميع الرعاة الأصغر أن يقدموا حساباً أمامه. في أثناء ذلك، وبروحه القدوس، سوف يعمل في كل من بذل نفسه لأجلهم على صليب الجمجمة. وبهذا العمل الداخلي (في داخلهم) فإنه يقدّس ويكرّس شعبه لنفســـه، فيجعلهم يوماً فيوماً أكثر ما يكونون شبهاً بمعلّمهم المبارك، الذي له كل مجد خلاصهم الآن وإلى الأبد.وهكذا تأتي الـــ "آمين" لتختم الأجزاء العقائدية والعملية في الرسالة.

القسم و. أصحاح ١٣: ٢٢- ٢٥

التحيات الختامية. علامة بولس الخفية

ينبغي ألا تستغرق التحيات الختامية الكثير من وقتنا. في الآية ٢٢ يناشدهم أن يقتبلوا كلمة الْـــوَعْظِ، التي ستضع حداً لكل نزعاتهم الطبيعية، والتي دُفِعَ بالروح لكتابتها، بسبب الظروف التي وُجِدوا فيها.

رفيقه تيموثاوس، الذي كان من الواضح أنه كان مسجوناً معه، قد أُطلِقَ سراحه الآن. وكان يأمل مع تيموثاوس أن يفتقد ثانيةً الكنائس التي كان يوجد فيها هؤلاء المسيحيون من أصل يهودي، إن كانت هـــذه إرادة الرب. ومن ثم يكرر ذكر مرشديهم المتبصّرين في الأمور الروحية، فيرسل لهم تحية خاصة مع جميـــع القديســـين. تقديرهم هذا لقادتهم ومرشديهم سيأتي إليهم بالنعمة فعلاً من الرسول بولس، لأنه كان هناك من يريد أن يحدث صدعاً بينه وبينهم. ولكنه نفسه كان يأبى الإقرار بوجود أي شيء من هذا القبيل، ويشيد بما وهبهم الله إياه مـــن عناية ورعاية لنفوس إخوتهم القديسين. ولا بد أن إخوته الذين من إيطاليا هم مسيحيون في رومية، وفي أمكنـــة أخرى، قد شاركوه توجيه هذه التحية.

ويختم بولس الرسالة بأن يضع في نهايتها، كما نرى، العلامة الخفية المميزة "اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ".

رغم أن بولس قد فرزه الله ليكون رسول الأمم، إلا أنه لم ينسَ أنه هو نفسه كان يهودياً بالجسد. لقـــد عرف بنفسه ما يعني لشعبه أن يعلنوا أنهم أتباع الرب يسوع المسيح. لقد كان قلبه يتوق ويشتاق إليهم، وكانت لديه غيرة مقدسة لئلا تفوتهم البركة الكاملة بمسايرتهم للتيار وتمسكهم الطويل الأمـــد بالشـــكليات والطقـــوس والشعائر، وبالناموسية والجسدانية في ذلك النظام الديني الذي صار فاقد الحياة بسبب صلب ابن الله. كان ليرغب أن يدخلوا ويتمتعوا بكامل النعمة بأي طريقة ممكنة وهذه كانت مركز ونواة رسالته إلى كل من اليهود والأمميين.

إذ نراجع تاريخ العالم المسيحي، يمكننا أن نرى كم كان هذا الانقسام أو الانفصال ضرورياً. إن قلـــب الإنسان سرعان ما يميل إلى الشكلية والطقسية. وحدهم الذين يقتادهم الله هم الذين يعبدونه بالروح والحق. في أي وقت يتقهقر الناس مرتدين إلى أشكال شعائرية طقوسية وأنظمة ليتورجية، تعويضاً عن الحاجة الملحة المتزايدة إلى الروحانية الحقيقية والتكرس للمسيح. غير المخلصين يمكن أن "يستمتعوا" بـــ "الطقـــس الـــديني" ولكـــن المتجددين فقط هم الذي يمكنهم أن يعبدوا بروح الله.